روايات مصرية للجيب

34

سلسلة الروايات

Looloo
www.looloolibrary.com

لا تصفح

مقـدمة

سلسلة قصص من الواقع والخيال ..

إنها أمواج الحياة ..

التى نبحث بين أمواجها عن كنوزها ..

ونجرى ونلهث وراءها ..

فنجد أناسًا يتنعمون ..

وأناسًا يحترقون ..

وبين أولئك وأولئك .. آخرون ..

يطلق عليهم البسطاء ..

والثلاثة لهم مشاكلهم ومآسيهم ..

التى سنستعرضها ..

والتى ربما نتأثر بها ..

حيث سنتألم لألمهم ..

ونبكى لدموعهم ..

فقد نحزن تارة ..

وقد نضحك تارة أخرى ..

ولكن فى كل مرة سنجد قصة ..

أبطالها من الحياة ..

دموعهم من الواقع ..

أحداثها من الخيال ..

وعندما يمتزج كل هذا مع ذاك ..

سيخرج لنا الاسم جليًا .. هو ..

قصص من الواقع والخيال ..

وائـل القـاضى

Looloo
www.looloolibrary.com

1 ـ إجازة نصف العام ..

استيقظ : نطق المستشار (محمود صبرى) .. ابن محافظة سوهاج .. بهذه الكلمة فى قسوة شديدة ممزوجة بالغلظة، وهو يحاول إيقاظ نجله (نادر) .. الذى دوت هذه الكلمة فى أذنيه كالقنبلة .. تبعتها هزات عنيفة لكتفه الأيمن .. فاستيقظ (نادر) فى فزع وسأم .. ثم قال فى غيظ ممزوج بالملل .. وقد شرع يفهم ما يحدث حوله، ثم فتح عينيه فى صعوبة شديدة قائلاً : ماذا تريد يا أبى ؟

فأجابه والده كاظمًا غيظه .. وهذا الأخير يتمنى رميه وإلقاءه من فوق السرير : هيا .. قم .. كفاك نومًا ..

ثم أردف بنفس لهجته ، وقد وكزه فى ذات الكتف مرة أخرى : هيا .. اذهب إلى العمال فى البيت .

فسأله (نادر) .. فى غيظ وهو يتثاءب بقوة : كم الساعة الآن ؟ يا أبى ..

فأجابه والده بنفاد صبر .. ودون أن ينظر هذا الأخير حتى فى ساعته بنفس لهجته : الساعة الآن العاشرة صباحًا .

فتململ (نادر) فى فراشه .. ثم قال لوالده وقد اتخذ قراره بالنوم مرة أخرى مهما حدث :

ـ حاضر يا أبى .

ثم أردف فى صعوبة حتى لا يطير النوم من عينيه : اتركنى الآن يا أبى .. أنام ساعة أخرى فقط ..

ـ وسوف أذهب إليهم لاحقًا .. بعد ذلك .

ثم عاد (نادر) إلى نومه مرة أخرى ، وكأن شيئًا لم يحدث .. فوقف الأب أمام نجله عاجزًا .. والغيظ يكاد يلتهمه التهامًا .. وهنا فكر الأب جديًا فى إحضار دورق من المياه .. وسكبه على نجله النائم انتقامًا منـــه .. على أفعـــاله وردوده .. وكسله وتقصيره .. وعقوقه ، وهنا جاءت زوجته الحبيبة (سمية) والدة (نادر) وأبصرت زوجها بهذه الحالة المزرية .. فخافت من ردة فعله .. على نجلها الحبيب (نادر) .. وتدخلت بجسدها فيما بين زوجها .. ونجلها ، للحيلولة فيما بينهما .. وخشية أن تهزمه قسوة ثورته وغيظه من نجله .. فيؤذى نجلها الحبيب (نادر) ، وسرعان ما طفقت فى أن تهدئ من روعه .. وقسوة ثورته .. قائلة فى حنان : لا تغضب يا (محمود) .. اذهب أنت

Looloo www.looloolibrary.com

الآن .. واستطردت كلامها فى صدق : وأعدك .. بعد ساعة واحدة من الآن .. سوف أرسله خلفك ، وقرنت حديثها وهى تجذبه من ذراعه .. لإخراجه من غرفة نجلها وحبيبها (نادر) : تعالَ معى الآن ..

فقد قمت بتحضير وتجهيز الإفطار الذى تحبـه ، فقال بنفس لهجته الغاضبة .. وهو يتنهد فى عجز وهم .. وأين الرغبة فى الطعام الآن ؟! لقد أضاع ولدك ....

فقاطعته فى حنان وهى ما زالت تجذبه وتجره من ذراعه : تعالَ معى الآن .. وسأجلس معك لتناول طعام الإفطار سويًا .. ثم أردفت فى مرح : وأعدك أننى سأفتح شهيتك للطعام ...

هيا فأنت أمامك يوم طويل وشاق هناك .. واستطردت فى صدق : ولقد بدأت صحتك فى التدهور بسبب ذلك .. فقال لها فى غضب شديد : لن يأتى مثل كل مرة .

فقال (نادر) فى ملل .. وهو يحاول ألا يضيع أثر النوم من عينيه .. حيث إن والديه كانا يقفان على عتبة غرفته .. طوال هذا الحديث : هيا .. اذهبا من هنا .. وتحدثا فى الخارج .. ثم

أردف فى غيظ شديد : هيا اذهبا بالله عليكم .. فنحن فى إجازة نصف العام ..

فقال (محمود) .. وهو يحاول الهجوم على نجله (نادر) .. وهى تحاول صده ومنعه : هل تسمعين كلام سيد الرجال .. فقالت له فى لهجة أقرب إلى التوسل : أرجوك تعالَ الآن .. لتتناول طعامك .. حتى تستطيع الذهاب .. ولا تتأخر على العمال ..

وأقسم لك .. أننى سأرسله لك .. بعد ساعة واحدة ، من الآن على الأكثر .. وهنا اكفهر وجهه .. وجلس معها على مائدة الإفطار فى صعوبة شديدة .. ولم يستطع إكمال طعامه .. وسرعان ما ارتدى عباءته .. وهو يقول فى غضب شديد : حسبى الله ونعم الوكيل .. حسبى الله ونعم الوكيل .. ثم انصرف فى غضب أشد .. وصفق الباب خلفه فى قوة .. كاد ينخلع معها باب البيت .. وتنهدت هى فى قوة ، وتركت نجلها لينام فى سلام .. وهى تدعوه سبحانه وتعالى .. أن يؤلف بين قلبيهما .. وأن يزيل بقدرته ذلك الحاجز المنيع بينهما .. وسرعان ما انشغلت هى بأعمال البيت .. وبعد حوالى ساعة كاملة بالتمام والكمال .. ذهبت إلى نجلها (نادر) فى إصرار ، وسرعان ما فتحت ستائر

Looloo
www.looloolibrary.com

الغرفة .. ثم الشباك ، وذلك لينساب ضوء الشمس إلى الغرفة .. ومن ثم إليه وإلى عينيه .. فتذمر (نادر) فى قوة .. فعادت إلى نجلها ، ومالت عليه فى حنان .. ثم شرعت تهزه فى رفق وهى تهمس فى حنـان : (نادر ... نادر) حبيبى ، هيا استيقظ .. كفاك نومًا بالله عليك يا حبيبي، فقال لها (نادر) فى توسل : أرجوك .. اتركينى .. فقاطعته هى بذات لهجتها الحانية : هيا .. قم يا ولدى .. فلقد قمت بإعداد طعام الإفطار ، ثم هزته فى رفق مرة أخرى .. وهى تستطرد كلامها فى حنان جارف : إنه الإفطار الذى تحبه وتشتهيه .. فتململ (نادر) مرة أخرى ، وهو يقول كاظمًا غيظه مع أمه الرءوم : أرجوك يا (أمى) .. اتركينى حتى أستكمل نومى .. فحسرت جزءًا من الغطاء عنه .. ثم أمسكت بذراعه الأيمن ، حيث كان موليًا ظهره إليها آنذاك ، وسرعان ما أجبرته بحنان على مواجهتها .. ثم احتضنته فى قوة .. وقبلته فى حنان .. وهى تقول فى لهجة هامسة آمرة : ستقوم الآن من أجله .. وستذهب إلى أبيك .. حتى لا نغضب نحن الاثنان منك .. ثم قبلته مرة أخرى .. وهى تمسك بيده جاذبة إياه قائلة فى إصرار مرح : هيا .. هيا .. ستقوم الآن معى .. هيا .

وعلى الرغـم من أن أمه كانت تفعـل ذلك معه فى كل مرة وتهـزمه .. إلا أنه لم يستطع إلا أن يستجيب لهـا وينفـذ كل كلامها .. وأوامرها ..

فهى نبع الحنان الجارف .. والدفء .. والنور له فى هذه الدنيا .. وهو قد يستطيع إغضاب أى أحد .. أى أحد .. فى هذا الوجود كله .. إلا هى ..

إلا أنه ومع ذلك فقد وجد نفسه يقول بكل غضب :

ـ حرام عليكى .. حرام عليكى .. يا أمى ..

لماذا تفعلين هذا بى .. لماذا .. ثم أردف بنفس لهجته المتسائلة : أليس (أحمد) شقيقى هناك .. لماذا أيقظتمونى أنا إذن ؟! وهنا قالت الأم فى لهجة آمرة : هيا .. قم واذهب إلى أبيك .. وسرعان ما قام من السرير .. وهو يتمتم بصوت خفيض غاضب : أنا بالتأكيد لست ابنكم .. ثم ذهب ليغسل وجهه قائلاً فى أثناء الطريق : حسبى الله ونعم الوكيل .. حسبى الله ونعم الوكيل .. ثم تناول جزءًا يسيرًا من طعام الإفطار .. ورفض استكمال طعامه .. تمامًا مثلما فعل أبوه .. ورفض تغيير ملابسه .. وأصر على الذهاب إلى والده .. بذات ملابسه .. ثم ركب دراجته

Looloo
www.looloolibrary.com

الهوائية .. وذهب إلى والده فى غيظ شديد .. ورغم أنه قد قام بغسل وجهه عـدة مرات .. إلا أن النوم أبى أن يفارق عينيه بعد .. وتذكر فى تلك اللحظات ، أن والده قد اشترى منذ فترة .. قطعة الأرض الصغيرة .. تلك ، ومساحتها مائتا متر تقريبًا .. بالتقسيط ، وأن والده يقوم حاليًا ببناء الطابق الأول .. من البيت، ولأن (نادر) كان فى الثانوية العامة .. آنذاك، فقد كان يتذرع دائمًا بالاستذكار ، والحرص على دروسه .. ومدرسته آنذاك ، حيث كان يستحصل على الدروس الخصوصية فى كل المواد تقريبًا .. فهذه هى ضريبة الثانوية العامة .. من أجل ذلك .. ولكل الأعذار السابقة .. فقد كان (نادر) يجد العذر المناسب ، للتهرب من الذهاب إلى هناك .. وحتى لا يذهب إلى هذه الأرض اللعينة .. أبدًا ، أو ذلك البيت الجديد ــ كما تطلق عليه أسرته ــ .. حيث إن والده قد اشترى هذه الأرض منذ ثلاث سنوات تقريبًا .. بينما لم يذهب هو فى هذه السنوات الثلاث .. إلا مرات معدودة .. يمكن حصرها على أصابع اليد الواحدة .. حيث كان يبغض فكرة مجرد الذهاب إلى هناك .. بل إنه كان لا يحب المرور .. مجرد المرور فى الشارع .. الذى توجد به تلك الأرض .. أو حتى فى الشارع المجاور لها ..

ففى البداية حيـث كان البيـت فى مكان مقفر .. موحش ، ورويدًا .. رويدًا .. بدأ بغضه ينمو .. ويتعاظم .. لهذا البيت الجديد .. كما تطلق عليه أسرته ، وعندما شرع والده .. فى وضع حجر الأساس ، وبناء هذا البيت الجديد .. ونشد والده عونه ومساعدته فى ذلك .. فى البداية كان الأمر مجرد الذهاب إلى هناك .. ثم بدأ الأمر .. عندما شرع والده .. فى استغلاله هناك أسوأ استغلال .. بالإضافة إلى العمال .. القائمين على العمل .. هناك ، والذين كانوا يستغلونه أيضًا .. ويتعاملون معه على أنه واحـد منهم .. وذلك فى إحضار جميع طلباتهم بلا استثناء .. مثل مساعدتهم فى العمل .. وإحضار جميع الطلبات من الخارج .. وإحضار الطعام لهم : الإفطار .. والغداء .. وبعض الطلبات الأخرى اللازمة ، لاستكمال العمل فى البيت .. وحجة الجميع آنذاك بلا استثناء .. بما فيهم والده .. حتى لا يتعطل العمل فى البناء .. آنذاك .. وكان هذا أكثر ما يبغضه ، بل ويقهره .. أيضًا .. أن والده كان معهم .. فقد كان (نادر) فى الثانوية العامة فى القسم العلمى ، وكان أكثر ما يبغضه فى أيام المدارس آنذاك .. هو الاستيقاظ مبكرًا للذهاب إلى المدرسة .. وكم كان ينتظر إجازة نصف العام .. بفارغ الصبر .. وجاءت

Looloo
www.looloolibrary.com

أخيرًا .. فكم كان يتلهف ويشتاق إليها .. وذلك ليحصل على أجمل شيء فى الوجود كله .. النوم .. ثم النوم .. ثم النوم .. وعرض عليه أصدقاؤه .. قبل بداية الإجازة .. أن يسافر معهم الغردقة .. فى رحلة جماعية .. لمدة أربعة أيام .. تشمله هو وأصدقاءه .. حتى يتنزه .. ويستمتع بعض الشيء وللحصول على بعض الراحـــة .. من الانغماس فى الدراســـة .. والدروس الخصوصية .. التى لا تكاد تنتهى أبدًا .. وها هو مسلسل العكارة .. يستكمله والده ، وذلك بإيقاظه مبكرًا مرة أخرى .. فى تلك الأيام الجميلة « أيام الإجازة » ، وذلك من أجل بناء هذا البيت اللعين .. حيث أدرك الآن لماذا رفض والده .. وبكل قوة .. وإصرار سفره آنذاك .. بل إن والده جاهر بها صراحة .. ولم يستح .. عندما أخبره بأنه كان ينتظر .. هو هذه الإجازة أيضًا بفارغ الصبر .. ومن أجل ذلك رفض سفره .. لأنه يريد استغلال هذه الإجازة فى بناء البيت الجديد .. ويريد منه مساعدته له .. كرجل فى ظهره فى أثناء البناء .. والوقوف معه هناك ومساعدة العمال .. ريثما يحتاجون شيئًا ما ، حيث كان والده يعتقد أن العمال يسرقونه .. عندما يذهبون لشراء شيء ما .. من احتياجات البناء .. الخاصة بالبيت .. حيث كان والده يطلب منه الذهاب مع أى عامل ..

أثناء الشراء .. وذلك لمعرفة أسعار الشراء الحقيقية آنذاك .. وكان (نادر) يرفض ذلك وبشدة .. على عكس شقيقه (أحمد) الذى كان ينصاع لأوامر والده .. بكل رضا .. بل ويستمتع بذلك .. ففى الإجازة الماضية .. وحال قيام والده .. ببناء أساس البيت .. صرح له هؤلاء العمال بأفعال والده المفضوحة .. وأنهم ليسوا أغبياء .. بل يفهمون كل شيء جيدًا .. ولا يخفى عليهم سر .. وسبب إصرار والده على ذهاب (نادر) .. أو شقيقه (أحمد) برفقتهم .. فى كل مرة يذهبون فيها للشراء .. حيث إن والده يعتقد بأنهم لصوص .. وأقسموا له بأغلظ الإيمان .. بأنهم فقراء .. نعم .. ولكنهم شرفاء .. ولا يقبلون الحرام أبدًا .. بكل أنواعه .. مهما كان صغيرًا أو كبيرًا .. أبدًا .. أبدًا ، لا على أنفسهم .. ولا على بيوتهم .. ولا على أولادهم ، وبالطبع صدق (نادر) هؤلاء العمال البسطاء .. الشرفاء فى كل ما قالوا .. آنذاك .. وهذه الأيمان المغلظة الصادرة منهم ..

Looloo
www.looloolibrary.com

2 ـ شـقيقى ..

لذلك قرر (نادر) الانتقام من والده .. وذلك بعدم الذهاب إلى هذا البيت اللعين .. مطلقًا .. مرة أخرى .. أبدًا .. أبدًا ..

وذلك بسبب حرمان والده له للرحلة التى لطالما .. كان يحلم بها .. وينتظرها .. بفارغ الصبر .. هذا من ناحية .. ومن ناحية أخرى .. بسبب هؤلاء العمال .. الذين هم بالنسبة له .. أناس بسطاء .. فقراء .. وشرفاء .. لا تشوبهم أدنى شائبة .. فضلاً عن أنه يعلم فى قرارة نفسه .. قسوة والده .. مع الجميع بلا استثناء .. ولكنه لم يكن يعلم بحق .. بأنه ليس كل العمال شرفاء .. بل ليس كل الناس شرفاء .. وأن الدنيا بها الكثير .. والكثير .. وهناك الخير والشر ، والأبيض والأسود .. بل وهناك الرمادى أيضًا .. المهم أنه ومنذ بداية إجازة نصف العام .. أى منذ أربعة أيام بالتحديد ، وهو يحاول بشتى الطرق .. ويتذرع بكل وسيلة ممكنة .. بعدم الذهاب إلى هناك مطلقًا .. ولكن على ما يبدو .. أن كل محاولاته اليوم تحديدًا .. قد باءت كلها بالفشل الذريع .. فقد صبر والده عليه كثيرًا .. وهو على يقين من ذلك ،

ولقد استنفد هو محاولات الهروب والمراوغة .. ولقد نفد صبر والده عليه .. ومن ثم فهو يخشى .. أن يبطش به والده اليوم .. بحق .. ولولا ذلك ما ذهب إلى هناك أبدًا .. بل وما خطا صوب هذا البيت اللعين .. .. ثمة خطو واحدة .. كل هذا .. وكل ما سبق .. بالنسبة له كان يهون .. أما الشىء الذى لا يهون بالنسبة له أبدًا .. فهـو رغبة والده .. الملحة .. والبغيضة فى ذات الوقت .. فى التحكم بمستقبله .. وبمصيره .. فيما بعد .. حيث يريد منه ــ رغمًا عنه ــ الالتحاق بكلية الحقوق .. ليحقق له الحلم .. الذى لطالما تمناه والده شخصيًا .. وهو أن يصبح نجله (نادر) ، يومًا ما .. وكيل النائب العام .. مثله مثل غيره .. مـن المستشارين .. وأبنائهم .. وليس مجـرد (نادر) ابن المستشار (محمود صبرى) .. ولكى يكون له كيانه الخاص به .. بصفة عامة .. وامتدادًا له هو .. شخصيًا .. بصفة خاصة .. وذلك بتحقيق حلمه الكبير .. وجل أمنيته .. بدلوفه إلى كلية الحقوق ، ومن ثم يصبح بعدها .. وكيل نيابة .. ثم الدلوف إلى سلك القضاء مثله .. أعظم شىء فى الوجود كله .. بالنسبة لوالده .. وبالطبع كان هذا الأخير يرفض .. وبكل شدة .. مثل هذا التحكم الشديد .. بالنسبة له .. فى مصيره ومستقبله .. فهذا

Looloo
www.looloolibrary.com

الأخير كان يريد شيئًا آخـر .. بل كان يحلم ويتمنى بشيء مختلف أيضًا ، فهو يريد أن يعمل مع عمه (جمال) . فى بنك الأهلى سوستيه .. إنه يريد المال نعم يرغب فى المال .. فالمال بالنسبة له .. هـو أساس كل شيء فى هذا الوجود كله .. أو هكذا هو يفكر .. ويعتقد .. فكل شيء يحدث فى هذه الدنيا .. أساسها المال .. بل إن بعض الناس .. قد تذهب إلى الجنة .. أو النار بسبب المال .. دول قد تتحكم فى دول .. بسبب المال .. مصائر ناس تتحكم فيها البعض الآخر بسبب المال ؛ نعيش ونستمتع ونسافر .. بسبب المال .. عصر الجوارى .. والعبيد .. فيما مضى .. كان بسبب المال .. تجارة الرقيق الأبيض .. واستعباد الرجال والنساء .. بل وربما الكهول .. والأطفال أيضًا .. بسبب المال .. الجرائم .. والقرصنة .. والسرقة .. القتل .. كل هـذا من أجـل ماذا .. بسبب المال .. إنه لا يريد المنصب .. ولا شهوة المنصب .. ولا يريد السلطة وشهوة السلطة .. الذى يعشقه والده .. ربما لدرجة الجنون .. ومن ثم فإنه يريده أن يصبح مثله يومًا ما .. ولكنه لن يمكنه من ذلك .. مهما حدث ، لقد حاول والده معه فى البداية .. رويدًا .. رويدًا ، إدخاله إلى القسم الأدبى .. بحجة أنه قسم سهل ومريح .. وليس معقدًا

ولا يحتاج إلى مجموع كبير .. مثل القسم العلمى .. فضلاً عن أن القسم الأدبى .. يؤدى إلى كليات العظمة .. ومنها مثلاً على سبيل المثال .. كلية الحقوق .. كلية السياسة والاقتصاد .. ولكنه أبى .. رفض بكل إصرار وقوة ، وتشبث برأيه .. وثبت على موقفه .. ودخل إلى القسم العلمى .. كما كان يحب .. ويتمنى .. وأجبر والده على رغبته .. ونزل والده عن رغبته مرغمًا .. لعلمه أولاً مدى قدرة نجله .. وعشقه .. وتفوقه فى العلوم .. والرياضيات .. وثانيًا : أنه يجوز الدلوف إلى كلية الحقوق ، من خلال القسم العلمى ، وثالثًا : خشية والده من إجبار نجله .. على الدلوف إلى القسم الأدبى .. فيفشل .. ويكون ذلك خير ذريعة لنجله على الفشل .. وفيما بعد .. يقول له .. بعدما يحدث ما لا يحمد عقباه .. هل رأيت ؟.. هذا لأنك أجبرتنى على الدلوف إلى القسم الأدبى .. فترك له والده الأمر على هواه .. بل ترك له والده الحبل من الطرفين .. حتى لا يكون له أدنى عذر فيما بعد .. ولا ينكر هذا الأخير دور عمه سالف الذكر .. فى إقناع والده .. آنذاك .. وكذا والدته .. والدته كم هى رءوم وعطوفة .. وعظيمة هذه المرأة .. كم أجبرتها الأيام على الحيرة .. أحيانًا .. ما بين قوة زوجها وجبروته .. وقسوة عناده وصلابته .. من

Looloo
www.looloolibrary.com

ناحية .. وما بين حبها الشديد .. لنجلها .. وشفقتها عليه .. من ناحية أخرى .. لقد كانت هذه الأخيرة تمثل له .. جسر الحنان والرجاء والأمل .. فى هذه الدنيا .. ما بينه وبين والده .. سيما وقد ورث هو من والده .. كل صفاته وطباعه الشخصية .. المهم أنه قد حدثت الخطوة الأولى .. والكبيرة فى خطته .. ونجحت بقوة كبيرة حتى الآن .. ورويدًا رويدًا .. سيدخل إلى كلية التجارة ، كما كان يشتهى .. ويحب .. وسيجبر الجميع بلا استثناء .. على الانصياع له .. والاستسلام لرغبته وأمنيته .. أما كلية الحقوق .. فسيتركها عن طيب خاطر .. إلى شقيقه الأصغر (أحمد) ، فهذا الأخير . على الرغم من كونه فى الصف الثانى الإعدادى الآن .. إلا أنه حبيب والديه .. بصفة عامة .. وعشيق والده .. بصفة خاصة .. حتى إنه كان يعتقد فى بعض الأحيان .. أن والده هو الذى يعمل على طاعة .. نجله (أحمد) .. بل ويحرص على ذلك .. لا العكس .. فى حين كان يؤمن الجميع .. بأنه هو الذى يجب عليه ذلك .. بحجة أنه هو الكبير .. العاقل .. المتفهم للأمور .. وأن هناك ضريبة للكبير .. وهى أنه يجب أن يدوس على نفسه دائمًا .. ليس لشىء سوى .. أنه الكبير ، كم كان يكره ذلك بصفة عامة ، وهذه العبارات الأخيرة .. بصفة

خاصة .. وكان يتعجب هو من ذلك .. فلماذا يجب عليه ذلك ؟! لأنه الشقيق الأكبر ؟.. فكل شخص فى هذه الدنيا .. بل كل إنسان فى هذا الوجود .. له طباعه الخاصة به .. وشخصيته المستقلة .. التى تميزه عن الآخرين .. بل عن أى إنسان آخر .. فى هذا العالم .. ولكن كل هذا لم يكن يعنى فى نظره .. سوى شىء واحد فقط .. وهو أن والده ــ بصفة خاصة ــ يحب شقيقه (أحمد) الأصغر منه .. أكثر منه .. بمرات ومرات .. أم أن شقيقه هذا أكثر حكمة .. وطاعة منه ، لوالديه بحق .. نعم إنه لن يكذب .. بل يجب عليه الاعتراف بذلك .. وبحق فى هذه اللحظات .. فى قرارة نفسه .. على الأقل .. بأن شقيقه الأصغر .. هو أكثر طاعة منه بالفعل .. وأن والده يحب شقيقه الأصغر هذا .. حبًا شديدًا .. بحق ، إذن لماذا لا يفكر بجدية .. بدلاً من أن يغار من شقيقه ؟ فعليه أن يفكر فى أن يصبح يومًا ما مثله .. مطيعًا برضا .. ودودًا .. محبوبًا .. طاعة عمياء .. مع والديه بصفة خاصة ، ومع الناس ــ بصفة عامة ، ولا يعاملهم الند بالند .. كما يطلقون عليه دائمًا .. ماذا لو سمع الكلام .. ثم أطاع بدون مجادلة .. وبدون مناقشة .. مثلما يفعل شقيقه الأصغر دائمًا .. ماذا لو سمع الكلام .. ثم أطـاع أيضًا .. بكل ترحاب ورضا

Looloo
www.looloolibrary.com

ومحبة .. مثلما يفعل شقيقه (أحمد) .. دائمًا بدون تذمر .. وبدون مشاكسة .. ماذا لو قال .. كلمتين خفيفتين على اللسان .. مثلما كانت تداعبه أمه دائمًا .. نعم .. وحاضر .. وحاضر .. ونعم .. ولم يجادل .. ولم يناقش .. إلا فى حدود الأدب .. مثلما يفعل شقيقه سالف الذكر ، وفى هذه اللحظات .. يجب عليه الاعتـــراف أيضًا .. وبكل صراحة .. وصـــدق .. بأنه لم ولن يستطيع فعل ذلك مهما حدث .. فكل إنسان له شخصيته المستقلة .. مهما كانت الظروف .. ومهما كانت الضغوط .. والآن الآن فقط أدرك بأنه لم ولن يصبح مثل شقيقه الأصغر .. فى يوم من الأيام .. أبدًا .. أبدًا .. أما شقيقه (أحمد) فقد كان فى غاية السعادة .. فى هذه اللحظات .. فقد كان يروح ويجىء .. ويمزح ويمرح .. مع هذا وذاك .. وكأنه فى إحدى الرحلات الصيفية .. أو فى إحدى مدن الملاهى الكبرى .. أما الأب فى هذه اللحظات .. فقد كان بين شقى الرحى .. أو بين المطرقة والسندان .. فبقدر قيمة وعظمة فرحته وسعادته بنجله الصغير (أحمد) .. والذى يشعر بداخله .. بأنه سيكون ويصبح خليفته فيما بعد .. وأنه سيكون الامتداد الحقيقى له .. فهو البذرة الصالحة فى الأرض الطيبة .. وأن ما يحدث أمامه .. لا يعنى سوى شىء واحد .. وهو أن

(أحمد) سيكون الوريث الحقيقى له .. فهو خير خلف .. لخير سلف .. ولكن قدر وقيمة وعظيم فرحته وسعادته هذه .. لا تقل بأى حال من الأحوال .. عن قدر وقيمة حزنه .. وقهره وغضبه الشديدين .. حيث يشعر بأن نجله الصغير هذا .. يمشى على هواه .. كما يخطط ويرسم له .. بالضبط .. بدون طلب وبكل رضا .. بل إن نجله الصغير هذا ؛ يفعل ما يريد .. وما يشتهى ويحب .. ليس بدون طلب فقط .. بل بكل حب ورضا أيضًا .. على عكس شقيقه الأكبر .. سالف الذكر .. وهذا ما يخشاه .. حتى تأتى الرياح دائمًا .. بما لا تشتهى السفن .. أما (أحمد) نفسه فكان لا يفكر إلا فى إرضاء كلا والديه .. وهنا وصل (نادر) إلى بيت والده الجديد .. وقطع حبل أفكار الجميع .. صوت شقيقه (أحمد) .. وهو يقول فى ترحاب ومودة مبتسمًا كعادته .. لشقيقه (نادر) الذى وصل إلى البيت فى هذه اللحظة : حمدًا لله على سلامتك يا باشا ، فقـــال هـــذا الأخير فى تبرم ممزوج بالغيظ الشديد : ما دمت أنت موجـــود .. فما الداعى لوجودى أنا إذن ! وأضاف فى مقت : لماذا أيقظنى والدك إذن ؟ ما دمت .... وهنا قاطعه والده .. والذى ظهر فجأة من خلف أحد الحوائط بغيظ ، وفى صوت خفيض حرصًا على الشكل العام

Looloo
www.looloolibrary.com

أمام العمال : لأنك من المفروض أنك رجل فى ظهرى .. أليس كذلك ! واستطرد قائلاً : والمفروض أنك أنت الذى تسعى إلىَّ .. بل وتسعى إلى المشاركة فى هذه الأعمال .. معى .. وأضاف بنفس لهجته : الأرض والبيت باسمى .. أينعم ، واستدرك قائلاً : ولكن فى النهاية .. فالبيت بيتكم .. ميراثكم من بعدى .. بمشيئته سبحانه وتعالى .. وهنا سارع (أحمد) إلى والده محاولاً احتضانه قائلاً فى صدق : لا تقل ذلك مرة أخرى يا أبى .. أطال الله عمرك وأبقاك لنا .. إن شاء الله سبحانه .. وأبقاك لنا صحيحًا معافى .. ثم قبل هذا الأخير يد والده كعادته .. فرد (نادر) بلهجة جافة :

ــ أطال الله عمرك يا أبى ..

ثم استدرك مستفزًا والده :

ولكن البركة فى (أحمد) باشا ؛ يا (أبو أحمد) ..

قال هذه العبارة الأخيرة .. رغم علمه اليقينى لبغض والده .. لهذه العبارة الأخيرة بالتحديد .. وهى عبارة .. يا (أبو أحمد) ، فهى تعنى له بداءة بأنه يحب شقيقه الأصغر أكثر منه .. أو بمعنى أدق .. فهى تعنى أنه لا يحب ولا يفضل ، سوى شقيقه

الأصغر .. وأنه يقوم بتمييز ذلك الأخير .. وأنه ظالم بين أولاده .. ولا يعدل بينهم .. ومع ذلك فقد ابتلعها .. والده ، وتغاضى عنها ثم قال بلهجة آمرة :

ــ هيا .. اذهب مع (سالم) لشراء شيكارة أسمنت .. ــ ولكن يا (أبى) .. فقاطعه والده بذات اللهجة : هيا .. اذهب ، واستطرد قائلاً : ولا تتأخر .. وسرعان ما شرع والده فى النداء على سالم .. وحضر هذا الأخير على عجل .. مهرولاً .. وسرعان ما ذهبا سويًا .. لتنفيذ أوامر والده .. وفى أثناء الطريق إلى الحانوت .. وحيث كان سالفى الذكر .. على الدراجة الهوائية الخاصة بـ (نادر) .. إلا أن الأول هو الذى كان يقود آنذاك .. ودار بينهما هذا الحوار .. حيث قال الأول متسائلاً : لماذا تتكبر علينا يا (نادر) باشا .. فأجابه الثانى بنفاد صبر : وما الذى حدث لتقول ذلك ؟.. فرد الأول : لا نراك فى البيت إلا قليلاً ، ولا تجلس معنا إلا قليلاً .. ولا تتحاور حتى معنا مثل شقيقك .. ثم أردف مازحًا : لا تغضب منى إذا قلت لك ، إنك .. نفور .. بعض الشىء .. فقال الثانى مدافعًا عن نفسه : كلا والله .. إنها المدرسة ، والدراسة والدروس الخصوصية .. لا أكثر .. فقال الأول بنفس لهجته السابقة : أيوه يا باشا .. أعتقد أنك

Looloo www.looloolibrary.com

تلتهم الكتب التهامًا .. لتدخل كلية .. كلية .. وشرع يتذكر فى اسمها .. وصلى وسلم على نور العالمين .. بدون فائدة .. فأجابه الثانى بنفاد صبر كاظمًا غيظه : كلية الحقوق ، فقال الأول وكأنه قد تذكر شيئًا فى غاية الأهمية : أيوه .. كلية الحقوق .. وساعتها أدرك (نادر) فى داخل نفسه ، أنه كان معه كل الحق .. فى ألا يجلس مع هؤلاء العمال .. وقطع حبل أفكاره (سالم) وهو يقول بلهجة ملؤها الحسد : بالطبع فإنك تلتهم الكتب التهامًا .. لتصبح وكيل نيابة .. مثل والدك .. معالى المستشار .. وامتعض هذا الأخير من هذا الحوار .. وكم تمنى فى هذه اللحظة تدمير هذه الدراجة خاصته .. الذى أجبرته على الركوب مع هذا الرجل .. وشرع الأول يتحدث ويتحدث ، والثانى يرد عليه بكل اقتضاب .. وشعر هذا الأخير .. وكأنه فى سفر طويل جدًا جدًا ، وليس مجرد مشوار خاص للبيت .. وهنا قال الأول والحسد يقطر من كلماته : يا لحسن حظك يا (نادر) بك ، واستطرد حديثه قائلاً : هل تعلم .. لقد أعطاك الله سبحانه كل شىء ، إن معك فرصة الوظيفة .. والتى يحلم بها الملايين .. وها هو والدك يبنى لكم بيتكم الجديد .. ولا ينقصك ثمة شىء فى هذه الدنيا .. الآن سوى شىء واحـد فقط .. العروسة ..

العروسة فقط .. وشرع هذا الأخير .. يضحك .. ويضحك .. وكأنه قال دعابة طريفة .. بينما كان الأول لا يتمنى ، سوى شىء واحد فى هذه اللحظة ، ألا وهى قتله .. وتمزيقه .. وبلا رحمة .

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

3 ـ الفـكرة ..

وسرعان ما عاد كل من سالفى الذكر من مشوارهما .. وبعد حوالى ساعة تقريبًا أو أكثر .. اجتمع جميع العمال لتناول طعام الغداء .. حتى(أحمد) كان يجلس برفقتهم .. ويتناول الطعام معهم .. بينما كان الأب يشرب الشاى .. مع سيجارته كالمعتاد .. وطلب العمال من (نادر) مشاركتهم الطعام .. إلا أن الحياء والخجل .. منعاه من ذلك .. على الرغم من أن الجوع كان يفرم أمعاءه .. وأحشاءه فرمًا .. ولكن كان هناك جانب آخر جعله يرفض الطعام معهم .. فهؤلاء العمال من البساطة .. والفقر .. ومن ثم فلا يجب على أى أحد .. أن يشاركهم طعامهم البسيط .. ورزقهم القليل هذا .. سيما وأنه يعلم علم اليقين أنهم يشترون الطعام .. ثم يجتمعون لتناوله .. ونادرًا ما يقوم ثمة أحد آخر .. لشراء طعام آخر .. لاستكمال طعامهم .. ومن ثم فإنهم إذا لم يشبعوا .. فسوف يتحمل هو وزرهم .. أو بمعنى أدق وزر من قام جائعًا .. أو الذى لم يستكمل طعامه .. ولذلك كان يعيب على شقيقه الأصغر .. فعل ذلك .. فضلاً عن أن هذا الطعام .. من الشارع ، وليس مضمونًا .. مثل طعام أمه الحبيبة ، فهو لن

يكون .. ولن يصل يومًا .. إلى مستوى نظافة وجمال وحلاوة طعام أمه .. وفى خضم كل هذا .. سرعان ما قال أحد العمال مداعبًا : أقبل .. يا (نادر) بك لتأكل معنا ..

ثم استطرد مداعبًا :

ـ فكما يقولون .. بصلة المحب خروف ..

فقال آخر :

ـ انظر إلى شقيقك (أحمد) .. إنه يأكل معنا ..

ثم استطرد بنفس لهجته :

ـ فلتكن متواضعًا مثله .. وشاركنا الطعام ..

ثم قال آخر : ليكون (عيش .. وملح) ..

وسرعان ما قال آخر مستفزًا :

ـ يا عم .. هذا (نادر) بك .. وكيل نيابة المستقبل ..

وهو لن يأكل مع أناس فقراء مثلنا .. ونجح استفزازهم .. فى إثارته .. وهنا قرر (نادر) الرد عليهم .. ليس بالكلام .. بل بالفعل .. وشرع يأكل معهم .. وذلك حتى يتقى شرهم ..

Looloo
www.looloolibrary.com

وسخريتهم عليـه .. والغـريب فى الأمـر أن والـده .. كـان يشاهد كل هذا .. ويستمع إليه .. ولم يتدخل .. بل ولم يعلق بأى كلمة .. أو أى تصرف كان .. لأنه كان يريد أن يرى .. رد فعل نجله (نادر) .. فى هذا الموقف .. وكيف سيكون تصرفه .. إزاء كل مّا يحدث .. فى هـذا الموقـف بالتحديد .. ومضى اليوم بطيئًا .. مملاً بالنسبة (لنادر) ، جميلاً عظيمًا بالنسبة (لأحمد) .. ولاحظ الأب بفطنته ذلك .. فلم يكن مثل هذا الأمر .. يخفى على رجل .. فى مثل دهائه وبصره وبصيرته .. فهذا البيت .. من المفروض أنه سيصبح ، مملكة هذه الأسرة الصغيرة .. فيما بعد .. بينما نجله (نادر) لا يشعر بذلك .. ولا يقدره .. بل ولا يعطى للأمر .. أدنى اهتمام .. أبدًا ، وقبل أن ينتهى اليوم بقليل .. كان (نادر) قد وصل إلى مرحلة الاختناق بحق .. ولاحظ والده ذلك ولكنه كتم ذلك فى أعماقه .. فقد كان هذا الأمر ، بمثابة طعنة دامية مباشرة فى قلب الأب المكلوم .. وضغط (نادر) على نفسه كثيرًا كثيرًا جدًا .. من أجل ذلك .. ومن أجل الصبر على التواجد هناك .. وعنـدما لم يقدر .. ولم يستطع التحمل .. والمواصلة .. والمثابرة .. استأذن والده فى الانصراف بهدوء .. متذرعًا بالتعب .. والرغبة

فى الطعام .. وتركه والده ينصرف فى سلام .. دونما أدنى تعليق .. أو تأنيب أو حتى معاتبته ، وقد قرر والده فى داخل نفسه ، ألا يطلب منـه .. ويرغمه على المجىء .. إلى هذا البيت مرة أخرى .. مهما حدث .. ويكفيه بالنسبة له .. أن معه حبيبه .. وسنده فى هذه الدنيا .. نجله الصغير (أحمد) .. بارك الله سبحانه له .. فيه .

* * *

وقبل أن تنتهى إجازة نصف العام .. بأيام قليلة .. أدرك (نادر) أن والده .. لم يطلب منه الذهاب إلى هذا البيت اللعين مرة أخرى .. وكم كان قدر فرحته .. وعظيم سعادته بذلك .. حيث إن والده لم يعرض عليه .. مجرد عرض .. الذهاب إلى هناك مرة أخرى .. وشعر (نادر) بالاستغراب فى بادئ الأمر .. ولكنه أدرك عقب ذلك .. أن والده قد أدرك رغبته .. فى أنه لا يريد الذهاب إلى هناك مرة أخرى .. وأكد له ذلك .. عندما سأل أمه الحبيبة عن ذلك .. ورغم شعوره القليل جدًا بتأنيب الضمير .. ورغبته الخفيفة فى الذهاب إلى هناك .. ولو على فترات متباعدة .. لقليل من الوقت .. ولكنه خاف .. من أن يعود

Looloo
www.looloolibrary.com

والده إلى ما كان .. ويتمسك به مرة أخرى .. فلا يستطيع المقاومة مرة أخرى .. فيضطر للذهـاب إلى هنـاك .. رغمًا عنه مرة أخرى .. ولا يريد ذلك .. أبدًا .. أبدًا .. فترك الحال على ما هو عليه .. وفى تلك الأثناء نبتت فكرة جميلة .. وذكية فى رأس والده .. وبعد التفكير فيها .. ودراستها .. قرر تنفيذها على الفور .. وهى محاولة زرع العدالة .. فى فكر وصدر نجله الأكبر (نادر) .. وذلك من أجل حصد الحب والشوق واللهفة عليها فيما بعد .. وفى تلك الليلة .. قام الأب بالنداء على نجله الأكبر (نادر) .. وأقبل نجله .. فى سرعة كالمعتاد .. وهنا قال الأب فى جدية : اجلس .. يا (نادر) .

ثم أمسك الأب محضرًا من ثلاث ورقات ، ثم قال له بنفس لهجته الجادة : اقرأ هذا المحضر يا (نادر) ثم أخبرنى ما رأيك فيه .. وعلى الرغم من دهشة (نادر) الكبيرة .. والتى اعترته من قمة رأسه حتى أخمص قدميه .. ولكنه لم يفصح عن ذلك بالطبع .. وسرعان ما انصاع .. وامتثل هذا الأخير .. لأمر والده .. متظاهرًا بالرضا .. وشرع هذا الأخير فى قراءة أوراق هذا المحضر .. والذى أعطاه له والده .. والذى كان مضمونه أن فلاحًا شابًا .. من إحدى القرى التابعة لأحد المراكز .. التابعة

لمحافظة أسيوط .. وذلك على اعتبار أن والده .. المستشار (محمود صبرى) .. كان رئيس محكمة جنايات .. بمحكمة استئناف أسيوط .. آنذاك .. المهم أن ذلك الشاب كان يريد الزواج .. بأية طريقة كانت .. لدرجة أنه طلب من والده فى البداية .. بيع جزء صغير من الأرض خاصته .. وذلك لمساعدته .. وللمساهمة فى أمر زواجه .. ولأن والده لم يكن غنيًا .. وإنما مجرد فلاح بسيط .. ولا يمتلك من حطام الدنيا سوى قطعة أرضه الصغيرة .. ودابة (بقـرة) لا ذلول .. تثير الأرض وتسقى الحرث .. إلا أن والده .. أبى ورفض بشدة .. ثم عاد وطلب من والده وعقب ذلك .. بيع تلك الدابة خاصتهم .. إلا أن والده .. هاج .. وماج .. ورفض ذلك أيضًا .. وبكل شدة .. ونشبت مشاجرة كبيرة .. بين ذلك الأب .. ونجله .. انتهت بأن قام ذلك الأب بطرد ذلك الابن .. فما كان من ذلك الأخير ، إلا أن قام بإحضار سلاح نارى (فرد خرطوش) .. كانوا يحتفظون به فى منزلهم الريفى .. ثم انفرد بنفسه فى غرفته .. ثم أغلق الباب على نفسه بإحكام .. ثم أطلق النار صوب قلبه مباشرة .. وسمع أهله صـوت هذا الطلق النارى .. فهرولوا بأقصى سرعة .. إلى حيث مصدره .. حيث كانت الغرفة فى الطابق الثانى .. ولأن

Looloo www.looloolibrary.com

الباب كان مغلقًا من الداخل .. فقاموا بكسر باب غرفته .. وهالهم المنظر والدماء الغزيرة .. المندفعة .. إلا أنه كان ما زال على قيد الحياة .. فقاموا بنقله على الفور إلى المستشفى المركزى .. والتى قامت بدورها بنقله إلى حيث مستشفى أسيوط الجامعى ، وإخطار مركز الشرطة .. بالحادث ، فقام ضابط المباحث بالتحرى السريع عن الأمر .. ثم قام بعمل محضر .. مرفق به تقرير مبدئى .. بحالة المجنى عليه المصاب .. والذى رُئى بأن حالته سيئة جدًا ، ولا يمكن سؤاله .. أو استجوابه .. وتم عرض هذا المحضر على النيابة العامة المختصة .. والتى أمرت بموالاة الاستعلام عن المصاب .. وتحريات جهة البحث حول الواقعـــة وظروفها وملابساتها .. وحيث حـــاول أهـــل المصاب .. إخفاء ذلك السلاح المستخدم فى الحادث .. إلا أنه فى النهاية .. تم ضبط السلاح المستخدم فى تلك الواقعة .. وأوردت تحريات المباحث ما سلف سرده .. وأنها محاولة انتحار يائسة .. وفاشلة .. حيث استطاعوا فى مستشفى أسيوط الجامعى .. إنقاذ ذلك المصاب المسكين .. حيث انحرفت تلك الطلقة عن مسار القلب .. بمسافة سنتيمتر واحد أو أقل .. وأصابت الرئة اليسرى .. بتهتك شديد جدًا .. مما اضطر الأطباء آنذاك إلى استئصالها ،

وحاليًا أصبح هذا الشاب يعيش بالرئة اليمنى فقط .. وذلك جزاء ما اقترفته يداه على نفسه .. وسرعان ما انتهى (نادر) .. من قراءة ذلك المحضر .. وهنا سأل هذا الأخير والده فى جدية : ومن المتهم تحديدًا فى هذه القضية يا أبى ؟ وانفرجت أسارير الأب .. وتهللت بهذا الحوار .. إلا أنه كتم ذلك جيدًا فى أعمق أعماقه .. وسرعان ما أجابه والده بنفس الجدية :

ــ المتهم ههنا هو ذلك الشاب المصاب .

وفغر (نادر) فاه من شدة الدهشة وهو يقول :

ــ وكيف ذلك .. وسرعان ما استطرد كلامه .. بذات لهجته : المفروض أن يكون المجرم الحقيقى ههنا .. ثم سكت هنيهة .. ثم قال باسمًا قاصدًا ما يقول : الأب.

وفهم الأب ما يرمى إليه نجله .. وحاول كبح ابتسامته .. إلا أنه لم يستطع .. وهو يسأله : ولماذا ؟ وما هى جريمته . من الناحية القانونية ؟

فسأل الابن والده بجدية :

ــ وما هى جريمة ذلك الشاب من الناحية القانونية ؟

Looloo
www.looloolibrary.com

فأجابه والده بلهجة المعلم المسرور بأفضل وأحب تلميذ لديه :

ـ لقد تم تقديمه من قبل النيابة العامة إلى محكمة الجنايات .. بجريمة إحراز سلاح نارى بغير ترخيص .. والجريمة الثانية إحراز ذخيرة ـ عدد واحد طلقة .. مما تستعمل على السلاح النارى سالف البيان .. وهنا ترقرق الدمع فى عينى (نجله) .. ثم قال فى تأثر : ألا يكفيه المأساة التى يعيش فيها بفقده لرئته اليسرى .. ألم تكتف النيابة العامة بما حدث له .. وبما يعانيه .. حتى تقدمه إلى محكمة الجنايات بهذه الجرائم .. فقال الأب فى بساطة معتادة :

ـ القانون هو القانون يا ولدى .

ثم استطرد بنفس لهجته :

ـ لا يفرق بين كبير أو صغير .. ضعيف أو قـوى .. مريض أو صحيح معافى .. رجل أو امرأة .. كهل أو طفل .. فقير أو غنى .. ذى جاه وسلطان .. أو فقير معدم .. مع الأخذ فى الاعتبار .. بأنه قد عرف من والده ـ آنفًا ـ بأن النيابة العامة هى التى تقدم أى متهم كان .. إلى المحاكمة الجنائية بصفة عامة .. وإلى

محكمة الجنايات بصفة خاصة .. وهنا قال الأب فى صدق .. وهو يشير إلى باقى أوراق القضية :

ـ فى الحقيقة يا ولدى .. إن النيابة العامة .. مشكورة، قد راعت فى تحقيقاتها مع هذا المتهم .. كل ما يمكن اعتباره من الإنسانية والشهامة .. بل أقصى درجات الرأفة والرحمة الممكنة .. فقد قام السيد وكيل النيابة .. المحقق .. فى أوراق هذه الدعوى .. مع هذا المتهم الآثم .. بسؤاله واستجوابه فى إحدى غرف الطابق الأرضى لمبنى النيابة العامة .. وذلك لعدم استطاعة هذا المتهم .. الصعود إلى الطوابق العلوية لمبنى النيابة العامة .. سيما وأن مبنى النيـابة العامة .. فى الطـابق الرابع .. بينما تم سؤاله واستجوابه فى غرفة المداولة .. الخاصة بأحد القضاة فى الطابق الأرضى .. وهنا سأل (الابن) والده فى اهتمام :

ـ وماذا ستفعل فى هذه القضية يا أبى ؟

فأجابه والده فى سعادة خفية .. وقد أدرك أنه استطاع أن يجذب انتباه نجله .. لأقصى درجـة . وأصبح نجله مهتمًا .. وشغوفًا بهذه القضية .. وسرعان ما قال الأب :

ـ أنا الذى عرضت عليك القضية .. وأنا الذى أريد رأيك فيها ..

www.looloolibrary.com

فأطرق الابن برأسه مفكرًا .. والأب فى غاية السعادة .. فقال الابن وذلك بعد تفكير عميق :

ـ ألا يوجد أى مخرج .. أو ثغرة قانونية فى هذه القضية .. بحيث يمكن تبرئة هذا الشاب .. أو إخراجه على الأقل من هذه القضية .. بدون حبس ..

فأجابه والده على الفور وهو فى غاية السعادة ـ داخليًا ـ بهذه المداولة القانونية : فى الحقيقة كلا يا ولدى .. إن هذه القضية ثابتة فى حق ذلك المتهم ثبوتًا كافيًا .. لإدانته .. وسجنه .. وتحيط به .. إحاطة السـوار .. بالمعصم .. فقـال الابن فى تعاطف : ألا يوجد أى شىء فى هذه الدنيا .. لإنقاذ هذا المسكين من عذاب .. وويلات .. وغياهب السجن .. فأجابه والده فى لهجة استفزازية .. وذلك لإخراج ما يمكن إخراجه .. من جعبة نجله :

ـ كلا للأسف .. لا يوجد .. يا ولدى .

* * *

4 ـ القضـايا ..

وهنا قال (نادر) .. وذلك بعد تفكير عميق : ألا يمكن إيقاف هذه العقوبة .. فقال الأب فى سعادة غامرة، وقد شعر لأول مرة فى حياته .. بأن البذرة التى قام بزرعها .. قد نمت فجأة .. وأصبحت شجرة .. يانعة .. يافعة .. مثمرة : هه .. ماذا قلت ؟

فقال الأول فى تشكك : قلت ألا يمكن إيقاف الـ ....

فقاطعه الأب بذات لهجته : وهـل قلت ذلك من تلقاء نفسك ؟ أم سمعته من ثمة أحد من قبل ..

فأجابه نجله وهو يحـاول نفى التهمة عن نفسـه : كلا والله يا أبى .. لقد قلتها .. ولا أدرى .. أصحيح ما قلته .. أم لا ..

فأجابه الأب وقد تهللت أساريره : نعم يا ولدى .. إن ما قلته صحيح تمامًا .. بل لقـد أصبت صحيح القانون ، وبحق هـذه المرة .. فإيقاف العقوبة .. والتى تتجاوز سنة .. أو عامًا واحدًا .. أو أقل .. منصوص عليه قانونًا .. فى قانون العقوبات المصرى .. ويجوز لرجال القضاء المصرى .. بصفة عامة .. وبلا استثناء .. استخدامه قانونًا .. فى معظم القضايا ..

Looloo
www.looloolibrary.com

واستدرك الأب قائلاً :

ـ ولكن بشروط معينة .. وهذه الشروط من الجائز تطبيقها ههنا .. ثم أردف الأب قائلاً بذات لهجته السعيدة : لقد نطقت يا ولدى بهذه الكلمة القانونية بمفردك .. وربما أنطقك القادر المقتدر سبحانه بها .. وهذا لا يعنى يا ولدى إلا شيئًا واحدًا .. فهو لا يعنى سوى أنك بذرة صالحة .. لهذا العمل السامى .. الجميل .. ثم استطرد قائلاً :

ـ فقد قررنا .. أنا وزملائى فى الدائرة .. عندما تداولنا .. بصدد القضاء والفصل فى هذه الدعوى .. أن نحكم على هذا المتهم المسكين .. ونظرًا لظروفه .. التى أحاطت بها الأوراق .. وألمت بها الدعوى .. بإيقاف عقوبة الحبس .. فى شأنه .. كنوع من التعاطف .. والإشفاق على هذا المتهم .. ومراعاة لظروفه المرضية الخاصة .. والتى سطرتها الأوراق .. فى هذه القضية .. وهنا تهللت أسارير (نادر) .. فرحًا .. وطربًا .. لأن هذا المتهم لن يُسجن .. ولن يحبس .. ثم قال (نادر) فى استكبار مرح : هل رأيت يا معالى المستشار .. لقد أخبرتك بالحكم الصحيح قانونًا .. وبدون أدنى تعب .. أو مجهود ..

وبدون قراءة لكل كتب القانون .. والتى تعج بها مكتبتك وبدون قراءة لأوراق قضيتك أيضًا .. وهنا قال الأب باسمًا : خذ اقرأ هذا المحضر الثانى .. أيضًا .. وأعطنى رأيك فيه .. وهنا قال الابن فى سخرية أدركها والده تمامًا : إذن .. فأنت تقوم بتعطيلى عن المذاكرة الآن .. يا معالى المستشار .. فأجابه والده بذات السخرية باسمًا : يا سلام .. يا سيدى .. على المذاكرة .. واستطرد الأب بذات لهجته : اعلم علم اليقين .. بأنك تأكل نفسك .. يا عينى .. وتأكل كتبك .. فى المذاكرة وذلك حتى يتسنى لك الحصول على أكبر مجموع .. ثم أمال الأب رأسه فى حركة مسرحية .. وهو يقول ساخرًا : نعتذر لك يا سيادة الدوق .. على ذلك .. فأجابه الابن باسمًا : شكرًا .. شكرًا لك .. يا معالى المستشار .. وهنا قال الأب بجدية : ربما أقوم بتعطيلك الآن .. ثم استدرك قائلاً : ولكن كل هذا لصالحك .. وصالح مستقبلك فيما بعد .. ثم قال بلهجة آمرة : والآن اقرأ .. وأمسك (نادر) محضر الشرطة .. الخاص بالقضية الثانية .. وكان خاصًا بإحدى قضايا المخدرات .. وكان مضمون هذا المحضر .. أن ضابط المباحث .. فى أحد المراكز التابعة لمحافظة أسيوط .. وحال سيره بسيارة الشرطة .. قرر ترك السيارة مع سائقها .. ثم سار

Looloo
www.looloolibrary.com

مترجلاً على قدميه .. ومع القوة المرافقة له .. وذلك لفحص الحالة الأمنية للبلدة .. وبالطبع كان السيد الضابط يرتدى الملابس المدنية .. وكذلك أفراد القوة المرافقة .. وذلك حرصًا على التخفى .. واكتشاف الجرائم .. وبالدلوف إلى أحد الشوارع الجانبية .. شاهد رجلاً قادمًا .. فى مواجهته .. وما أن شاهد هذا الرجل .. السيد الضابط .. والقوة المرافقة له .. وعلى الرغم من أنه لا توجد ثمة معرفة فيما بين الطرفين .. حتى قام ذلك الشخص .. بتغيير وجهته .. وكان فى يده كيس أسود تظهر منه المواد المخدرة .. فقام السيد الضابط بالنداء عليه .. إلا أنه لم يستجب له .. فقام بملاحقته .. فقام ذلك المتهم .. بالعدو هربًا منه .. ومحاولة الهرب من السيد الضابط .. فقام ذلك الأخير بالهرولة .. ثم العدو خلفه .. والسيطرة عليه .. والقبض عليه آنذاك .. إلا أن ذلك المتهم قد رمى ذلك الكيس الأسود .. فى محاولة للتخلص منه قبل القبض عليه .. والذى كان يمسكه آنذاك .. وبتفتيش ذلك الكيس الأسود .. والذى كان بحوزة ذلك المتهم .. قبل القبض عليه .. عثر بداخله على ثلاث قطع .. من الحشيش المخدر .. وكذا كيس أصفر اللون .. بداخله قطعة من الأفيون المخدر .. وكان هذا المتهم فى طريقه إلى بيعهم .. كما

عثر معه على مائتى جنيه .. حصيلة بيعه .. لأقراص مخدرة .. كانت بحوزته قبل إلقاء القبض عليه .. ورفض المتهم البوح بأسماء .. من استحصل منهم على تلك المواد المخدرة .. كما رفض المتهم البوح بأسماء من باع لهم هذه الأقراص المخدرة .. متذرعًا بأنه لا يعرف هؤلاء الأشخاص .. واللذين قاموا بالشراء منه .. وأقر المتهم بأن قصده .. من حيازة وإحراز هذه المضبوطات .. هى الاتجار .. وتم تحريز قطع الحشيش فى .... إلخ ، وتم تحريز قطعة الأفيون فى ... إلخ .. وانتهى نادر من قراءة المحضر الثانى ، ثم أطرق برأسه مفكراً .. وهنا رفع والده رأسه من قراءة أوراق هذه القضية ، ثم سأل الأب نجله قائلاً : هل قرأت هذا المحضر جيدًا ؟ فأومأ نجله برأسه دلالة على الإيجاب .. فسأله والده : إذن ما رأيك فى هذه القضية ؟

وهنا سأل الابن والده فى هدوء : ومتى قام الضابط تحديدًا بالقبض على ذلك المتهم ؟

فأجابه والده :

ـ ستجد ستاعة تحرير المحضر .. فى الصـفحة الأولى على اليسار من الأعلى ..

Looloo
www.looloolibrary.com

فقرأها الأول بصوت مسموع .. الساعة 4 الرابعة صباحًا .. وهنا سأل (نادر) والده بذات الهدوء : وكيف رأى هذا الضابط .. هذه المواد المخدرة .. فى هـذا التوقيت المتأخر ليلاً .. وربما كانت الدنيا ظلامًا .. أو ربما كانت الإضاءة خافتة .. فى حين أن المتهم سالف الذكر .. قد قام بوضعها فى داخل كيس أسود .. وهنا أخفى الأب فرحته بصعوبة شديدة .. وهو يسمع هذا الكلام الجميل .. والذى كان بمثابة سيمفونية موسيقية عذبة .. تنساب فى جمال فى كلتا أذنيه .. ثم قال الأب فى هدوء :

ــ وهل هناك ثمة شىء آخر .. قد لفت انتباهك فى أوراق هذه القضية ؟

فأجابه الابن فى اهتمام :

ــ ما دام الضابط يرتدى زيًّا مدنيًّا .. هو وباقى أفراد القوة المرافقة .. والمتهم يضع .. هذه المواد المخدرة .. فى كيس أسود .. فلماذا قام المتهم إذًا بتغيير وجهته ..؟ وكيف رأى هذا الضابط هذه المخدرات ليلاً ؟ وهى فى كيس أسود .. يا إلهي، إن هذا المتهم يستحق البراءة عن جدارة .. واحترام .. ثم أردف فى ســخرية : أتدرى يا أبى !.. إن ذلك المتهـم يستحق مكافأة

سخية بحق .. وهنا قال الأب فى فرحة شديدة لم يستطع إخفاءها .. أو كبحها هذه المرة : أحسنت .. أحسنت .. بحق .. هذه المرة يا ولدى .. لقد أجبت على كل الأسئلة .. وكأنك عالم .. أو جهبذ فى القانون .. ثم أردف الأب فى صدق :

ــ أحسنت يا ولدى .. هل صدقتنى الآن .. هل صدقتنى بحق عندما أخبرتك أنك مشروع قاضٍ ناجح .. بحق يا ولدى ، وهنا قال الابن فى استكبار مصطنع مرح : (أى خدمة يا حوتة) ....

حيث كان (نادر) عندما تصفو الأمور تمامًا .. فيما بينه وبين والده .. وهذا الأمر لا يحدث كثيرًا .. فيما بينهما للأسف .. حيث كان الابن يقــوم بمخاطبته بهــذا الاســم .. كنوع من التدليل كما تفعــل والدته تمامًا .. والغريب أن والــده على الرغــم من جديته .. وقسوته .. وشدته لم يغضب منه آنذاك .. أبدًا .. أبدًا .. بل استقبلها بكل ترحاب وود .. وهنا استغل الأب الموقف .. ثم قام بإعطاء نجله محضرًا آخر .. فقال (الابن) فى عتاب : أبى ....؟

فقال له والده فى صدق : هذه آخر قضية .. ثم استطرد الأب فى مرح مصطنع :

Looloo
www.looloolibrary.com

ولن أقوم بتعطيلك عـن المجهود الجبـار .. الذى تبذله فى المذاكرة .. يا معالى الوزير .. وشرع (الابن) يقرأ فى محضر الشرطة الثالث .. ولكن فى ملل هذه المرة .. وكانت قضية مخدرات أيضًا ، وأحداثها تشبه أحداث ذات القضية الأخرى تمامًا .. بل بدت وكأنها منقـولة من ذات المحضر .. فنظـر إلى اسم الضابط .. محرر المحضر .. فوجده هو بذاته .. محرر محضر قضية المخدرات الأخرى ..

المهم أن هذا الضباط محرر المحضر .. فى هذه المرة .. قد تقابل مع رجل قادم فى مواجهته .. وعلى الرغم من أن السيد الضابط .. كان يرتدى أيضًا زيًا مدنيًا .. إلا أن هذا الرجل القادم فى مواجهته .. فجأة ظهرت عليه علامات الشك .. والريبة .. والارتباك .. وكان هذا الأخير يحمل لفافة ورقية كبيرة .. من ورق الجرائد .. وما أن شاهد هذا الأخير .. السيد .. محرر المحضر .. والذى لا توجد فيما بينهما ثمة معرفة سابقة .. وكان معه القوة المرافقة له .. بالطبع .. حتى قام هذا المتهم برمى هذه اللفافة الورقية .. والتى كانت بحوزته .. والتى انفرطت بمجـرد وقوعها على الأرض .. ومن ثم فقـد ظهر ما بداخلها .. وهو نبات عشبى أخضر جاف .. يشتبه أن يكون

لنبات الباتجو المخدر .. ثم قام ذلك المتهم بتغيير وجهته أيضًا .. ومحاولة الهروب .. بدون داع .. وكمـا حـدث فى القضية السابقة .. حدث فى هذه القضية أيضًا .. وعقب القبض عليه ومواجهته .. بما تم ضبطه .. أقر ذلك المتهم .. بإحرازه للمضبوطات .. بقصد التعاطى ، وقـام السيد الضابط بتحريز المضبوطات .. داخل علبة كرتونية ، مكتوب عليها .. بسكويت الشمعدان .. وجمع عليها بالجمع الأحمر .. فى عدد ست مواضع بخاتم يقرأ بصمته .. الضابط (ـــ) .. إلخ .

وما أن انتهى الابن من قراءة المحضر الثانى .. حتى سأل والده فى اهتمام ما معنى كلمة الجمع الأحمر .. يا أبى .. فرد عليه والده بلهجة المعلم .. إلى تلميـذه : الجمع الأحمر .. المقصود بها الشمع الأحمر .. ثم استدرك الأب قائلاً : ولكن بلغتنا نحن .. القضاء والنيابة والشرطة .. فإن الشمع الأحمر .. نطلق عليه كلمة .. الجمع الأحمر .. ثم استطرد الأب كلامه متسائلاً : ما رأيك فى هـذه القضية الأخـرى أيضًا ؟ فأجابه (الابن) على الفور فى هدوء : إنه يستحق البراءة عن جدارة .. ومكافأة سخية أيضًا .. مثله مثـل المتهم الآخـر فى القضية السابقة، فسأله الأب باسمًا فى سرعة واهتمام :

Looloo
www.looloolibrary.com

ولماذا .. فى نظرك يستحق هذا المتهم مثل هذه البراءة ؟

فأجابه الابن فى سرعة :

ـ أولاً : لأن هذه القضية .. مثل القضية الأخرى تقريبًا .. فى معظم أحداثها ..

وثانيًا : ما دمت لا أثق فى كـلام السيد الضـابط .. محرر المحضر الأول .. فالمفروض ألا أثق فيه أيضًا .. مرة أخرى فى المحضر الثانى .. ما دام هو بذاته محرر المحضر الثانى ..

وهنا قال الأب بذات لهجته الباسمة :

ـ ما تقول يا ولدى .. لا يصلح إلا للتحدث بشأنه .. على المقاهى .. والنوادى .. ثم أردف قائلاً : أما هنا وعلى منصة القضاء الشامخ ، فنحن لا نريد إلا أسانيد قانونية لأننا لا نتحدث إلا بالقانون .. والحكم .. سـواء بالبراءة أو الإدانة .. لا يكون أيضًا إلا بالقانون .

* * *

5 ـ العـدالـة ..

وهنا شرع (نادر) يبحث كثيرًا وكثيرًا .. فى رأسه عن الجواب .. ولكن دون فائدة .. أخيرًا .. وليس آخرًا قال فى تلقائية : أعتقد أنه ليس من المعقول .. وهنا قاطعه والده .. وكاد يصرخ من شـدة الفرحة : برافـو .. أحسنت يا ولدى .. واستطرد الأب بنفس لهجته : نعم يا ولدى .. عدم المعقولية .. إن معظم قضايا المخدرات .. والسلاح .. يحصل المتهم فيها على البراءة .. بسبب عدم المعقولية .. بل إن هناك أحكامًا .. لمحكمتنا العليا .. محكمة النقض .. فى هذا الشأن .. وهنا لم يستطع هذا الأب الرءوم .. أن يتمالك نفسه أكثر من هذا .. فقام من مكانه .. ثم احتضن نجله .. ثم انهال عليه بالقبلات .. وكانت هذه اللحظة بالنسبة (لنادر) ويكأنها .. لم تمر عليه منذ سنين .. فقال هذا الأخير فى تواضع مداعبًا والده :

ـ أى خدمة يا معالى المستشار .. ثم أردف بنفس لهجته :

ـ أعتقد أنه بعد أن قمت بحل ثلاث من قضاياك .. أصبح من حقى . مشاركتك راتبك .. حلال طيب .. وهنا ضحك الأب ضحكة صافية .. وحضر (أحمد) الشقيق الأصغر ، الذى قال مداعبًا :

Looloo
www.looloolibrary.com

ــ يا ما شاء الله .. يا ما شاء الله ، ما كل هذا الحب .. أحسنوا إلى .. أعطونى قليلاً من هذا الحب .. فقال (نادر) فى غيرة واضحة : مرة فى العمر .. ياعم (أحمد) .. فأنت تحصل .. وتستأثر دائمًا بالخير كله .. وجلس الجميع مرة أخرى .. وهنا سأل (نادر) والده فى اهتمام ممزوج بالجدية :

ــ أخبرنى يا أبى .. كيف تحكم فى قضايا الناس ؟ فأجابه والده فى هدوء وبدون تفكير : على الرغم أن هذا .. يعتبر سرًّا لا يجوز البوح به .. إلا بين أعضاء الهيئة فقط .. ثم استدرك قائلاً :

ــ ولكننى سأخبركما .. إيـــاه ، فيومًا ما بمشيئته تعـــالى ، وبقدرته سبحانه .. ستجلسا مكانى .. وتتخذا مجلسى وسيعلو بإذنه شأنكما .. وستجلسا إن شاء الله سبحانه .. يومًا ما على تلك المنصة ، لتحكما بين النـــاس بالعدل .. وتتحكما فى كفتى ميزان العدالة .. دونما أدنى هوى من أنفسكما .. فالنفس أمارة بالسوء .. إلا من رحم ربى .. ثم أردف بذات لهجة المعلم .. الذى يخاطب تلاميذه .. المميزين والمفضلين والمحبوين لديه :

ــ فعندما تكون القضية معروضـــة على .. بين كلتا يدى .. وفى حوزتى .. للقضاء فيها .. والفصل فيها ..

فحينئذ .. أنظر إلى المتهم ..

وكأنه .. ابنى .. أو شقيقى ..

وأحيانًا .. أنظر إلى المجنى عليه ..

وكأنه .. ابنى أو شقيقى ..

وأحيانًا .. أضع نفسى .. مكان المتهم .. أو المجنى عليه .

فلو كنت .. أتعرض لذات الموقف ..

فماذا كنت سأفعل . أقاتل .. أم مقتول ؟..

أضارب .. أم مضروب ؟..

أكنت أقبل الحرام .. والرشوة أم لا ؟..

وأحيانًا أنظر إلى المتهم بشخصه ..

فقد تكون الظروف أقوى منه ..

وهى التى أجبرته على ارتكاب مثل هذه الجريمة ..

مثل البيئة التى نشأ بها .. وأسرته ..

هل هى غنية .. أم فقيرة ..؟

Looloo
www.looloolibrary.com

فى طبعها الإجرام .. أم أنها أسرة طيبة ؟..

وأحيانًا أنظر إلى ظروف كل من المتهم .. والمجنى عليه .. سواء النفسية .. أم العصبية .. أم العقلية .. أم الجسدية ..

وأحيانًا ننظر إلى الخطأ .. المرتكب فى الواقعة ..

والذى أدى إلى وقوع .. مثل تلك الجريمة ..

وهل من السهل .. وهل من الطبيعى ..

على أى شخص الوقوع فيه .. من عدمه ؟

وهل هذا الخطأ .. عن تعمد .. أم عن إهمال ؟؟

وغيرها .. وغيرها .. من الآلاف المتنوعة من القضايا .

كلٌ على اختلاف .. ظروفها .. وأسبابها .. وأطرافها ..

وهناك بعض العادات .. فى داخل كل محافظة .. فى جمهورية مصر العربية .. حيث توجد المئات من القرى والمراكز ..

فقد تختلف العادات .. فى داخل المحافظة الواحدة ..

فى القرية عنها .. فى المدينة ..

وفى النهاية تبقى المظلة .. خفاقة .. عالية .. مرتفعة .

نمشى جميعًا تحت ظلها ..

بعيدين كل البعد عن شرها ..

حتى تحمينا يوم القيامة .. من شر شمسها .. وحرها ..

واختنق صوت الأب .. وظهر ندى الدموع ملتمعًا .. فى كلتا عينيه .. وهو يقول :

الرحمة .. دائمًا .. فوق العدل ..

ولأن يفلت ألف مجرم .. من العقاب ..

خير من إدانة متهم .. واحد برىء ..

ولأن الأحكام الجنائية تبنى دائمًا ..

على الجزم .. والحزم .. واليقين ..

لا على الظن .. والشك .. والتخمين ..

وأن مثقال ذرة من الشك .. خير من أنهار وأنهار من اليقين ..

لأن الشك يفسر دائمًا لصالح المتهم ..

Looloo
www.looloolibrary.com

ثم استطرد الأب كلامه بلهجة آمرة :

ــ هيا اذهبا .. كل منكما لاستذكار دروسه ..

وهنا سأل (نادر) والده فى جدية :

ــ معذرة يا أبى ..!

لقد قلت الظروف النفسية .. والعصبية .. والعقلية .. والجسدية .. مثل ماذا ؟

فابتسم الأب .. فالرغبة فى المعرفة .. مؤشر جيد .. بالنسبة للأب .. فقد استطاع أخيرًا لفت .. وجذب انتباهه .. ثم أجاب الأب أيضًا بدون تفكير :

على سبيل المثال .. لو أن متهمًا مصابًا بالشلل .. فى يديه وذراعيه .. فلن يستطيع تسلق المواسير .. لن يستطيع الضغط على الزناد .. للقتل ..

لن يستطيع ذبح أحد الأشخاص مثلاً ..

والمصاب بالشلل فى قدميه .. لن يستطيع الجرى ..

والعدو .. هربًا من الشرطة .. والمصاب بعاهة عقلية ..

كالجنون والعته .. أو التخلف العقلى .. أو الضمور فى المخ .. وما شابه ذلك .. فلن يستطيع التخطيط .. لارتكاب جريمة فى منتهى البراعة .. ثم التخطيط مرة أخرى .. للإفلات منها .. وعلى سبيل المثال أيضًا .. المصاب بمرض نفسى أو عصبى .. لن يستطيع التخطيط والتدبير لارتكاب الجرائم .. والإفلات منها .. مثلهم .. مثل الأشخاص العاديين .. أو الطبيعيين .. بل إن هؤلاء و الذين سبق ذكرهم .. راعى القانون ظروفهم .. ووضع شيئًا فى القانون .. تسمى الأعذار القانونية .. منها الأعذار القانونية المخففة ..

ومنها الأعذار القانونية للإباحة .. وهذا ليس مجالنا .. ولن نتكلم كثيرًا فى هذا الصدد .. فهذا كلام كبير .. وكثير يطول ويطول شرحه .. وليس وقته الآن .. ثم قال أمرًا : هيا اذهبا .. للمذاكرة الآن ..

وهنا وقف الابن الأكبر ثم قال :

ــ فى الحقيقة .. إن كل ما قلته .. وذكرته .. لهو أمر عسير .. وشاق يا أبى .. كيف يتسنى لك الإحاطة .. بكل هذا .. وذاك ؟؟

فأجابه والده باسمًا :

Looloo
www.looloolibrary.com

– إنك تقول ذلك ، لأنك لم تدرس .. ولم تقرأ ثمة شيء .. من كل ما مررنا به .. وهذه هى فائدة الدراسة .. والعلم والتعلم .. والقراءة ، ولذلك فإن الأمر قد يبدو عليك .. للوهلة الأولى بأنه عسير كما قلت .. بل ومعقد ..

واستدرك الأب قائلاً :

– ولكن صدقنى يا ولدى .. إن الأمر أبسط .. وأسهل مما تتصور .. وليس هناك شيء فى هـذه الدنيا كلهـا .. أحلى ولا أجمل .. من الجلوس على منصة القضاء .. والفصل بينهم .. وتحقيق العدالة بين الناس .. وأن تشعر وبحق .. بأنك تمثل الميزان بينهم .. فالعدل يا أبنائى ليس مجرد كلمة ..

ليس مجرد تصرف ..

ليس مجرد مشاعر ..

بل ميزان ينشأ ..

ونار تنشب .. وتحرق ..

إنه ميزان ينشأ فى القلب .. ويحتله ..

ومن ثم يحتل .. جسد . وروح صاحبه .

ونار .. تنشب وتحرق القلب ..

إذا ما مالت إحدى كفتى الميزان ..

إن الإنسان إذا أحب العدل ..

وأخلص له .. بكل جوارحه ..

أحبه العدل أيضًا .. بل وأخلص له ..

رويدًا .. رويدًا .. يحتل جسده .. وروحه ..

التى يمشى بهما على الأرض ..

فلا يقدر على إتيان أى فعل ..

أو القضاء فى أى شيء ..

دونما اللجوء إليه .. حتى فى أحلك الظروف ..

لذلك .. فإن العدل إذا أحببته .. وأخلصت له ..

تحكم فيك .. كليًا .. وجزئيًا ..

فإذا حاولت .. مجرد محاولة ..

لكى تظلم .. أو تحيد عن الحق ..

Looloo
www.looloolibrary.com

أو تتبع الهوى .. أو حتى تميل ميلاً خفيفًا ..

فلن تقدر .. ولن تستطيع ..

لأن ساعتها .. ستنشب النار ..

فى القلب .. والجسد .. والروح ..

تلك النار التى تحرس هذا الميزان ..

ويملأ القلب .. ويغذيه .. ويغذى كل الجوارح ..

ستنشب النار .. وتظل تكوى .. وتحرق صاحبها ..

حتى يعود عن ظلمه .. .. ويرتد إلى رشده ..

فيصعد سلم العدل مرة أخرى ..

ويرتوى من عدله الذى اعتاد عليه ..

وساعتها يصبح الإنسان .. والعدل ..

ملتصقين .. لا يفترقان .. جسدًا .. وروحًا ..

وكيانًا واحدًا .. لا اثنان ..

حتى يصير كالفاروق (رضى الله عنه) فى غيرته ..

على الحق .. والعدل ..

فإن أحب الإنسان العدل .. إلى هذه الدرجة ..

بل .. وأقامه حريصًا عليه .. فى كل لمحة ..

وفى كل حركاته .. وفى كل سكناته ..

لم يحظ بحب واحترام الناس له فقط ..

لم يحظ بحبه واحترامه لنفسه .. فقط .

لم يحظ بحبه للعدل .. وحب العدل له فقط ..

بل سيصبح هذا الإنسان .. كالصراط المستقيم ..

لا يستطيع أن يميل .. يمينًا .. أو يسارًا ..

وساعتها سيحظى بحب الجبار .. شديد العقاب ..

ذى الجلال والإكرام .. البديع .. العدل .

وعندما انتهى الأب من كلماته السابقة ..

كانت الدموع قد ترقرقت فى كلتا عينيه ..

وذلك دون أن يشعر بها .. فقال له (أحمد) :

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ امسح دموعك يا أبى ..؟

فمسح الأب دموعه على الفور .. وهنا حضرت الأم مقاطعة إياهم .. وكم كانت فى منتهى السعادة .. لأنها وجدتهم لأول مرة مجتمعين جميعًا هكذا .. فى سعادة وصفاء دون مشاكل .. أو شجار .. أو صراخ كالعادة .. وسرعان ما قالت فى سعادة :

ـ يا رب اجمعنا دائمًا هكذا .. ولا تفرقنا أبدًا .. أبدًا

ثم أردفت بذات لهجتها :

ـ فيم الاجتماع هذه المرة ؟

فقال الأب فى سرعة :

ـ إنه مجـرد اجتمـاع عائلى .. ثم أردف متسائلاً لتغيير الموضوع :

ـ هل انتهيت من العشاء أم لا ؟

فأجابت بذات لهجتها :

ـ العشاء جاهز أيها السادة .. ثم قالت مداعبة :

ـ ألا تشمون هذه الروائح الذكية .. هيا إن العشاء ساخن .. وجاهز .. وينتظر من سيلتهمه أولاً ..

انتهت إجازة نصف العام .. وشرع (نادر) يعود إلى مدرسته .. ودراسته من جديد .. واستكمال دروسه الخصوصية .

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

6 ـ كلية التجارة ..

كان الأستاذ (محمد مصطفى) أستاذ مادة الرياضيات هو أكثر الأساتذة الذين يعشقهم (نادر) .. فهو مختلف عن كل الأساتذة الذين استحصل منهم .. هذا الأخير على دروسه الخصوصية .. يومًا ما .. سيما وأن الأستاذ (محمد) .. قد ذهب فى وقت سابق .. إعارة إلى دولة المملكة العربية السعودية .. وبعد أن عاد .. هناك .. اشترى أرضًا .. ثم قام ببناء عقار خاص به .. ثم اشترى سيارة فخمة .. ولذلك فهو لا يعانى من الناحية المادية .. وهو ذو شخصية قوية جدًا .. ومتمكن جـدًا فى مادته .. مادة الرياضيات .. لا يقبل إلا التلاميذ الأذكياء .. وأحيانًا التلاميذ متوسطى الذكاء .. ولكن ذلك لا يتم إلا عن طريق واسطة قوية .. أو بعض المعارف المقربين .. ويتميز دون غيره .. عن جميع الأساتذة .. بأن المجموعة التى يعطيها درسًا خصوصيًا .. تتكون من ستة طلاب فقط لا غير .. ولا تزيد على ذلك .. مهما حدث ، وإذا حدث واضطر إلى الزيادة .. فإن الزيادة لا تكون إلا بمقدار طالب واحد فقط .. وفى حالات خاصة جدًا .. وبعد استئذان هذه

المجموعـة أيضًا .. فلو رفضت هـذه المجموعة قبوله .. فلا يجبرهم على قبوله مهما حـدث .. وذات مـرة تقابل مع أصدقائه فى المجموعة .. محمد وأحمد وعلى وحسام ومحمود .. وكان ذلك أسفل منزل الأستاذ (محمد) .. منتظرين ميعاد دلوفهم للحصة خاصتهم .. وكان الأستاذ محمد قد أعطاهم واجبًا .. لأدائه كالعادة .. فى المنزل .. وذلك بعد الانتهاء من شرح الحصة .. سيما وأن الأستاذ (محمد) .. كان من النوع الذى لا يمل ولا يكل من الشرح .. وإعادته أكثر من مرة .. حرصًا على فهم الطلاب .. واستيعابهم .. للدرس الذى يقوم بشرحه آنذاك .. ولذلك كان الأستاذ (محمد) يقول دائمًا .. بأن أبسط حقوقه عليهم .. هو حل هـذا الدرس المنزلى .. عرفانًا من الطلاب برد الجميل .. وتعبه معهم .. والمجهود الشاق .. الذى يبذله فى الحصة .. وشرح الدرس أكثر من مرة .. لتمكينهم من الفهم .. والاستيعاب .. المهم أن الطالب (أحمد سمير) والذى كان برفقتهم فى المجموعة آنذاك .. كان معروفًا عنه .. أنه أسوأ طالب .. ليس فى هذه المجموعة فقط .. بل على مستوى كل المجموعات .. وكان الأستاذ (محمد) قد صبر عليه كثيرًا كثيرًا بحق .. وكان مكان (أحمد) فى هذه المجموعة هو بجوار

www.looloolibrary.com

الأستاذ (محمد) نفسه .. ولأن (أحمد سمير) قد قام بأداء نصف الواجب فقط .. فقد قام بتغيير مكانه .. آنذاك .. والجلوس فى آخر المجموعة .. بعيدًا عن الأستاذ (محمد) .. إلا أن هذا الأخير عندما حضر .. وأبصر ما فعله الطالب (أحمد) ، فقام بتغيير مكانه .. وإجلاسه بجـواره مرة أخرى .. سيما وأن الأستاذ (محمد) .. كان من الممكن أن يمد يده .. ويضربه .. فى حالة التعصب .. والضيق الذى ينتابه من الذى أمامه .. وبعد مراجعة الواجب مع الطالب (أحمد سمير) .. استبان له أن ما قام بأدائه من الواجب كله خطأ .. فقد قام (أحمد) بحل نصف الواجب فقط .. ثم اتضح أن كل ما قام به خطأ .. فقام الأستاذ (محمد) بضربه بالعصا ست ضربات .. ثم قام بشرح الدرس الجديد .. ثم تعمد اختيار (أحمد) فى البدايه .. لحل المسألة الأولى .. وعنـدما فشل صفعه على وجهـه صفعة قوية .. وترقرق الدمع فى عينى (أحمد) .. من قـوة وقسوة هذه الصفعة .. وكان من عادة الأستاذ (محمد) أن يستحصل على قيمة الحصة .. وذلك عقب انتهائها مباشرة .. وعندما طلبها الأستاذ (محمد) من أحمد .. تذرع له بأنه قد نسيها هذه المرة .. وهنا قام الأستاذ (محمد) بطرده من المجموعة .. وفيما بعد

جاء أحد التلاميذ الأذكياء فى المجموعة ليحل محل (أحمد) .. ومضت الأيام حتى حانت امتحانات نهاية العام .. وكان الجميع بلا استثناء .. ينتظر نتيجـة الثانوية العامة بفارغ الصبر .. واستحصل نادر على مجموع سبعين فى المائة .. بالكاد، وبكى هذا الأخير من الفرحة .. غير مصدق .. ومعه كلا والديه .. فقد كان يتوقع لنفسـه .. مجموعًا أقـل من هـذا بكثير .. وكان لا يخشى إلا والده .. الذى لطالما توعده .. وهدده ، إذا كان الفشل من حظه نصيبه .. أما والده فقد بكى أكثر منه هو شخصيًا .. لأن حلمه قد بدأ فى الاقتراب .. وما هى إلا سنوات قلائل .، بإذنه ومشيئته حتى يتحقق .

* * *

وسرعان ما قام الأب بشراء ملف التنسيق .. ولم يسمح لنجله نادر بمجرد لمسه .. وقام الأب وحده بملء هذا الملف .. وكتابة ما به من بيانات .. و(نادر) يكاد ينفجر من شدة الغيظ .. ولكنه كظم غيظه .. وحزنه .. فهذا الأخير لا يملك من الأمر شيئًا .. فهـو لن ينسى عقب ظهور نتيجة الثانوية العامة .. عندما توسل إلى والده .. لكى يدخل كليـة التجارة .. فحينئذ

Looloo
www.looloolibrary.com

تعصب والده عليه بشدة .. بل وكاد يضربه .. أو بمعنى أدق .. كاد يقتله .. ويفتك به .. بل وأقسم إن فعل (نادر) ذلك ليطردنه من البيت شر طردة .. وليحرمنه من كل شيء .. أمواله .. وميراثه والبيت الذى يبنيه .. بل حتى اسمه سينتزعه منه .. فسكت (نادر) وتمنى من الله المقتدر سبحانه .. أن ينشأ له المخرج من هذا الجحيم .. ومضت الأيام .. وأصبح هذا الأخير ــ رغمًا عنه ــ من طلبة كلية الحقوق بجامعة أسيوط .. وأمسك والده كارنيه هذه الكلية .. وطفق ينظر إليه .. بإمعان .. وهو يتخيل أنه كارنيه النيابة العامة .. فيما بعد .. وكم تمنى أن يطيل الله عمرة .. حتى يعيش ويرى مثل تلك اللحظة العظيمة .. بل وطلب منه سبحانه .. أن يمدد له من العمر مدًا .. لكى يعينه فى سعيه .. فى تعيين نجله الحبيب .. فيما بعد .. ثم يقبضه سبحانه عقب ذلك .

وذات مرة .. وبعد مرور حوالى شهر من الدراسة .. أو أقل .. كان (نادر) يتحدث مع صديقيه .. علاء وأمير فى الكلية عن أمنيته .. وحلمه بدخول كلية التجارة .. وما فعله به والده .. فنصحه (علاء) بأنه ما زال يستطيع تحقيق حلمه .. ودخول كلية التجارة .. وأن كل ما عليه .. أن يكتب طلبًا بذلك .. فى

شئون الطلبة .. الخاص بكلية الحقوق، وأن آخر يوم للنقل والانتقال إلى كلية أخرى .. هو يوم الغد ..

بالفعل .. فانطلق (نادر) جريًا .. أو بمعنى أدق .. طائرًا إلى حيث مكتب شئون الطلبة .. والخاص بكلية الحقوق .. وفى تلك الأثناء سأل (أمير) صديقه (علاء) فى عتاب شديد ممزوج باللوم :

ــ لماذا فعلت ذلك يا علاء ؟ لو علم والده ....

فقاطعه (علاء) فى دهاء ممزوج بالخبث :

ــ دعك منه .. فلن يعلم والده ثمة شيء .

ثم استطرد فى حقد واضح :

ــ ثم إن أمثاله يمتلكون الكثير من الفرص .. أما نحن فيا ألف حسرة علينا .. فلا نملك ثمة شيء .. فى هذه الدنيا ..

ووصل نادر إلى مكتب شئون الطلبة .. وهو يلهث وقام بتقديم الطلب .. وتبين له أنه يجب عليه دفع المصاريف مرة أخرى .. فى كلية التجارة .. وذلك حتى يتمكن من الالتحاق بها .. واستخراج الكارنيه الخاص بها .. ولم تكن هذه هى المشكلة

www.looloolibrary.com

الحقيقية .. بالنسبة له .. فهو يدخر بعض النقود التى تكفيه .. لاستخراج ذلك الكارنيه .. وإنما كانت المشكلة الكبرى بالنسبة له .. تتمثل فى الكتب .. حيث يجب عليه الآن .. أن يشترى كتب كلا الكليتين .. وهو مؤقتًا لن يخبر ثمة أحد بذلك الأمر .. وربما ينتوى فعله بحق .. فهو يعلم أن ما يفعله .. هو الجنون بعينه .. وأن والده .. لو علم ذلك الأمر فسيقتله حتمًا .. وأن عليه أن يتظاهر بالاستذكار .. فى كتب كلية الحقوق أمام الجميع .. بينما يجب أن تكون المذاكرة الحقيقية .. فى كتب كلية التجارة ، وأكثر ما كان يخشاه (نادر) هو شقيقه الأصغر (أحمد) .. فذلك الأخير هو الذى يقيم معه فى ذات الغرفة .. صحيح أن كلاً منهما .. يمتلك دولابًا .. وسريرًا .. ومكتبًا مستقلاً .. إلا أن شـــدة رعبه من والده .. جعلته يخشى ويخاف من كل شىء .. والآن .. الآن فقط أدرك (نادر) أنه يحقد على (شكرى) ابن عمته .. (صفاء) .. الذى شق طريقه بكل سلاسة .. ونعومة فى تعليمه .. ثم التحق بالكلية التى كان يتمناها .. ويحلم بها .. وهى كلية التجارة أيضًا .. ومن ثم اتخذ قراره .. وهو أن يشترى كتب كلية التجارة .. وأن يتركها لدى (شكرى) .. والذى يسبقه بعام واحد .. وسرعـــان ما اشترى الكتب .. وذهـــب جريًا إلى بيت

عمته (صفاء) .. وأخبرها فى البداية بكل شىء .. وعلى الرغم من تعنيفها .. له بكل شدة .. وبكل قسوة .. إلا أن كل ذلك كان بلا فائدة .. فقد سبق السيف العذل .. وجاء (شكرى) من كليته .. وأخبره (نادر) بكل شىء .. والدمع يلتمع فى عينيه .. وسرعان ما طار هذا الأخير إلى بيته .. لإحضار كتب كلية الحقوق .. ثم عاد إلى (شكرى) .. بأقصى سرعة .. وقام بترك كل كتب كلية الحقوق .. لديه .. ومع مرور الأيام .. شرع هذا الأخير يقوم بالاستذكار لدى ابن عمته (شكرى) دائمًا .. وبدأ الشك يراود الأب من آن لآخر ...

فلماذا يترك نادر كتبه كلها لدى (شكرى) ابن عمته .. ولماذا هذا الإصرار على المذاكرة دائمًا هناك ؟

ما الذى يمنعه من المذاكرة فى بيته ؟

وسط أهله .. وبجوار أسرته .. وأمه الحبيبة ..

وهنا قرر الأب زيارة نجله .. ومفاجأته على حين غرة .. وبالفعل ذهب (نادر) إلى هناك .. وبعد مرور حوالى ساعة أو أقل .. حضر والده .. ومن حسن الحظ .. أنه كان قد أغلق الباب من الداخل .. فمن شدة رعبه من والده .. كان يتوقع حدوث ما

looloo www.looloolibrary.com

حدث من والده .. وصدق حدسه .. بحضور والده ، وسرعان ما قام (نادر) .. بتخبئة كل كتب كلية التجارة الخاصة به .. وتظاهر بالاستذكار فى أحد كتب كلية الحقوق .. وقام (شكرى) .. بفتح الباب .. وسرعان ما قام بالترحيب بخاله (محمود) .. ونظر الأب إلى نجله (نادر) .. الذى كان ينتفض من شدة الرعب .. كعصفور من غير ريش تم إلقاؤه فى وسط الشتاء القارص .. وهنا نظر الأب إلى نجله فى شك مبين .. ولم يرد تحية (شكرى) ثم سألهما فى عصبية شديدة ممزوجة بالشك : لماذا تغلقان الباب عليكما من الداخل ؟

وعجز (نادر) عن النطق .. فقد جف حلقه .. وطار لسانه .. إلى أعالى السماء .. حيث اختطفته الرياح .. وشرعت تتطاير به .. فى كل مكان بغير هدى .. أو مستقر .. وهنا قال (شكرى) فى سرعة .. والكذب يقطر من كلماته بالطبع :

ــ أبدًا يا خالى .. لمزيد من التركيز فقط ..

وهنا جلس الأب على أحد الكراسى .. وحضرت شقيقته (صفاء) .. ومعها كوب من عصير الليمون الطازج .. وعليه قطع من الثلج .. وسـأل الأب نجله وهـو ينظر إليه فى تركيز شديد :

ــ ما هى المادة التى كنت تذاكر فيها الآن ؟

فأجاب (نادر) .. وهو يرتعش : القانون الدستورى ..

فقال الأب بذات لهجته :

ــ أرنى الكتاب الخاص بتلك المادة ..

فأعطى (نادر) الكتاب .. الذى كان يمسكه آنذاك .. إلى والده .. وأمسك الأب الكتاب .. وقلب بين صفحاته .. وسرعان ما أدرك الأب بأن الكتاب جديد .. بشمعه .. كما يقولون .. ولم يفتح .. فسأله والده بكل جدية :

ــ كم مرة ذاكرت فى هذا الكتاب ؟ وكم مرة فتحت هذا الكتاب ؟

فأجاب (نادر) بصـوت مختنق .. لا يكاد يخـرج من بين شفتيه :

ــ لقد ذاكرت فيه أكثر من مرة والله .. يا أبى ..

وهنا قالت (صفاء) فى عتاب شديد .. وهى تحاول تغيير دفة الحديث :

ــ ما هذا يا شقيقى الأكبر .. أهذه هى زيارتك .. لشقيقتك الأرملة .. منذ ما يزيد على أربعة أشهر .. ولولا (نادر) .. ربما لم نراك الليلة .. أيضًا أليس كذلك ؟

Looloo
www.looloolibrary.com

وهنا انتبه (محمود) إلى نفسه وهو يقول :

ـ كلا والله يا شقيقتى العزيزة .. إنما هى تروس الحياة .. والشغل لا يرحم والله يا حبيبتى ..

وكم كان (نادر) سعيداً بما تفعله عمته (صفاء) .. لإلهاء والده .. عنه وحمايته من غدره وشره ..

* * *

7 ـ الحقيقـــة ..

وعنـــدما انتهى الأشقاء من حديثهما .. سرعان ما قالت (صفاء) لشقيقها الأكبر .. تعالَ لنتحدث فى الخارج .. حتى لا نقوم بتعطيلهما .. عن الاستمرار فى المذاكرة .. وهنا سأل الأب نجله : إلى أين وصلت فى هذا الكتاب ؟

وهنا ارتبك (نادر) وأخذ يبحث عن إجابة .. ثم قال فى خوف .. وهو مطأطئ الرأس فى الأرض :

ـ لا أتذكر الآن يا أبى ..

فسأله والده فى سرعة :

ـ وما هو اسم الموضوع الذى كنت تذاكره الآن .. قبل حضورى مباشرة ..

فأجابه نجله .. والكذب يقطر جليًا من بين حروف كلماته : فى الحقيقة يا أبى عندما حضرت إلى هنا .. قمت بالدلوف إلى دورة المياه .. ولم أخرج إلا من عشرة دقائق تقريبًا .. ثم ذهبت لعمل كوب من الشاى .. ثم أردف مستكملاً :

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ فأنت تعلم أننى أحب أن أعمل كوب الشاى بيدى ..

فنظر الأب إلى كوب الشاى .. الموضوع على المنضدة فى شك .. والأبخرة ما زالت تتصاعد منه .. مما يدل على أن ولده لا يكذب .. ولكن الأب يعلم .. علم اليقين .. بأن شقيقته (صفاء) لن تسمح له بذلك .. وهو صادق .. فى حدثه بحق .. فـ (صفاء) هى التى قامت بإعداد هذا الكوب .. وهنا قالت شقيقته لإنقاذ ابن شقيقها :

ـ ألن تجلس مع أختك .. بعض الوقت .. للاطمئنان عليها وعلى أحوالها ..

فقال (محمود) .. وقـد بدأ الخجل ممزوجًا بالحياء يتخلل كلامه :

ـ معك حق .. أنا آسف يا (صفاء) ..

فوقف الأب وهم بالخروج من الغرفة .. إلا أنه سأل نجله لآخر مرة .. وهو يحاول الإيقاع به بأى شكل :

ـ أيعنى هذا أننى أستطيع سؤالك فى هذه المادة ..

وهنا قالت (صفاء) وهى تمسك ذراع شقيقها الأكبر :

ـ هيا بنا إلى الخارج .. واتركهما لاستكمال مذاكرتهما ..

وهنا قال الأب فى عصبية شديدة :

ـ إن الكتاب الذى أعطيتنيه .. جديد وحديث .. وهذا لا يعنى إلا شيئًا واحدًا .. أنك لا تأتى للاستذكار هنا ..

ثم استطرد الأب قائلاً فى غضب شديد :

ـ أنا أعرف لماذا تأتى إلى هنا تحديدًا ..

وهنـا سـقطت قلـوب الجميع .. بين أقدامهم .. وبخاصة الضعيف بينهم (نادر) .. وكاد يفقد الوعى .. ويسقط مغشيًا عليه .. واندفعت عبرات الرعب .. تهجم على كلتا عينيه .. ثم سأل والده .. بصوت مختنق متحشرج : لماذا يا أبى ؟

فأجابه والده على الفور :

ـ لكى تلعب .. لا لكى تذاكر .. أليس كذلك ؟

وهنا قال شكرى فى صدق :

ـ أقسم لك يا خالى .. أن (نادر) يأتى إلى هنا للمذاكرة

فقال الأب بذات لهجته : سنرى ..

Looloo
www.looloolibrary.com

ثم انصرف مع شقيقته .. ولكن وقبل أن ينصرف .. وقبل أن يغادر عتبة الغرفة .. قال فى صدق :

ــ سأعود .. مرة أخرى

وسرعان ما انصرف الأب .. وذلك بعد أن انتهى من جلوسه مع شقيقته (صفاء) .. وهنا ذهبت (صفاء) إلى (نادر) ثم قالت لهذا الأخير فى عتاب :

ــ أعتقد أنه يجب أن تخبر والدك .. بجريمتك الشنعاء هذه .. يا (نادر) ..

فقال لها هذا الأخير فى حزن :

ــ ليس الآن يا عمتى .. ليس الآن

وقال (شكرى) : إن أمى معها كل الحق يا (نادر) .. فأنت لن تستطيع إخفاء هذا الأمر طويلاً .. وسيأتى اليوم الذى يعلم فيه خالى .. بما حدث .. وبما فعلت وساعتها .. لن يرحمك وسيفتك بك .. بكل قسوة ..

فقال (نادر) فى انكسار حزين :

لو علم .. ســواء الآن .. أو بعــد ذلك .. سيفتك بى ولن يرحمنى .. إنه فى كل الأحوال لن يصفح عنى .. ولن يسامحنى .. وفى كل الأحوال سيقتلنى ..

وهنا سألته (صفاء) فى جدية :

ــ ماذا ستفعل لو ذهب لك والدك إلى الكلية ؟

ففتح (نادر) عينيه فى خوف ثم قال :

ــ كلا .. كلا .. لن يفعل ذلك .. إن الله سبحانه وتعالى .. سيسترنى بمشيئته يا عمتى ..

وعلى الرغم من شك الأب فى نجله .. إلا أنه لم يجل بباله قط .. أن يكون نادر قد فعل ما فعل .. وترك كلية الحقوق .. وانتقل إلى كلية التجارة .. وحان وقت امتحانات الترم الأول ..

وكالعادة .. كان (نادر) يقضى جل وقته هناك .. عند عمته (صفاء) .. ونجلها (شكرى) ، وحاول (محمود) آنذاك .. أن يعطى شقيقته(صفاء) .. أية نقود .. لأن (نادر) كان شبه

Looloo
www.looloolibrary.com

مقيم هناك .. يأكل ويشرب أيضًا هناك .. وهو يعلم أن شقيقته .. أرملة .. صاحبة معاش .. ولكنها رفضت وأبت بشدة .. فكان (محمود) يذهب إلى هناك .. من آن لآخر ، ولكن ليس للتفتيش .. وإنما كان يذهب ليقوم بالواجب فتارة يدخل عليها .. بلحوم .. وتارة أخرى بدجاج أو فاكهة .. وحينذاك .. قالت له (صفاء) مداعبة :

ـ شكرًا (لنادر) .. أعدك بأننى سأهتم به .. أكثر من الأول بكثير .. ولم يفهم (محمود) إلى ماذا ترمى إليه آنذاك .. فسألها قائلاً :

ـ ولماذا كل هذا ..؟

فأجابته ضاحكة :

ـ لقد جعلك تتذكر شقيقتك .. وتفكر فيها .

فقال (محمود) فى خجل ممزوج بالحياء :

كلا والله .. ولكنى أعلم أن ذلك الوغد .. يأكل كثيرًا ..

فلم تجبه .. حتى لا تتسبب فى إحراجه .. أكثر من ذلك ، وانتهت امتحانات الترم الأول .. وكان (محمود) فى انتظار نتيجة الامتحانات .. على أحر من الجمر .. وفى ذلك الوقت .. كان هذا الأخير فى أيام عمله .. بمحكمة أسيوط .. حيث كان يجلس فى فى استراحة المستشارين .. وذلـك بعـد انتهاء امتحانات الترم الأول .. بحوالى ثلاثة أسابيع .. حيث كان يجلس مع أصدقائه مـن المستشارين ويتحدثون .. عن أولادهم .. ودراستهم .. وفى تلك الأثناء .. وحال الحديث عما سبق .. ذكر المستشار عونى بك أن له صديقًا .. دكتورًا فى كلية حقوق أسيوط .. وكانت النتيجة على الأبواب .. فطلب (محمود) من صديقه المستشار .. (عونى بك) الاتصال بصديقه هذا لمعرفة نتيجة نجله .. حيث كان (محمود) لا يطيق صبرًا على الانتظار .. ويا ليته .. ما فعل .. وسرعان ما أعطى (محمود) الاسم لصديقه .. ليعطيه بدوره إلى صديقه الدكتور .. وسرعان ما قام صديقه المستشار .. بتلبية طلب صديقه (محمود) .. وسرعان ما قام الدكتور (شوقى) بتلبية طلب صديقه عونى .. وبحث

Looloo
www.looloolibrary.com

الدكتور (شوقى) كثيرًا عن اسم (نادر) .. فى كشف الناجحين .. ثم كشف الذين نجحوا بمواد .. ثم كشف الراسبين .. ولكنه لم يجد اسمه فى أىٍّ من هذه الكشوف ..

وبعد حوالى ثلاث ساعات .. أو أكثر من البحث المضنى .. لم يسفر البحث عن ثمة شىء .. فاتصل الدكتور (شوقى) بصديقه (عونى) .. وأخبره بأنه قد بحث عن هذا الاسم .. فى كل الكشوف السابقة .. ولكن كل هذا البحث لم يسفر عن ثمة شىء .. ولم يكن على الرسول إلا البلاغ .. وقام (عونى) بتوصيل تلك الرسالة .. إلى صديقه المستشار (محمود) .. ونزل هذا الخبر على هذا الأخير كالصاعقة .. ولم يدر ماذا يقول ؟

وبحث فى عقله كثيرًا .. عن معنى لذلك .. وبعد أن أضناه البحث .. توصل أخيرًا .. إلى الحل الصحيح .. وترقرق الدمع فى عينى هذا الأخير .. وقد تجلت له الحقيقة المرة .. وقد أدرك ما فعله به نجله اللعين .. وهنا طلب الدكتور (شوقى) بنفسه .. وشكره كثيرًا .. كثيرًا .. على تعبه فى البحث .. ثم طلب منه ما إذا كان .. له ثمة دكتور صديق له فى كلية التجارة من عدمه ..

وطلب منه أن يبحث له عن الإسم هناك .. واندهش المستشار (عونى) من ذلك الطلب .. وأصابه الذهول الشديد .. بشأن ذلك ..

أما الدكتور (شوقى) فقد أصابه الذهول أيضًا .. ولكنه سرعان ما أدرك الأمر .. وهو أن ذلك الطالب قد قام بتحويل نفسه .. بنفسه إلى كلية التجارة دون علم والده .. وأدرك ذلك الأخير .. هذا الأمر .. ولكن فى وقت متأخر جـدًا .. وعقـب انتهاء المحادثة الهاتفية فيما بينهما .. قال عونى فى حيرة :

ــ أنا لم أفهم شيئًا ...

فأجابه (محمود) بصوت مختنق متحشرج .. والحروف لا تكاد تظهر من بين الكلمات التى تخرج من شفتيه :

ــ ذلك الوغد .. اللعين .. الكلب .. انتقل إلى كلية التجارة دون علمى .. لقـد كنت أشعر .. بذلـك ، ثم اسـتطرد منتحبًا : لقد وئد حلمى .. لقد وئد حلمى ، ثم جلس على سرير غرفته .. وقد عجزت قدماه عن حمله .. وهنا قال عونى محاولاً تهدئة ثورته :

Looloo
www.looloolibrary.com

ــ اهدأ .. اهدأ يا (محمود) .. المصيبة وقد حدثت بالفعل .. لن نقول .. إلا كما علمنا سبحانه .. (إنا لله وإنا إليه راجعون) .. (وعسى أن تكرهوا شيئًا وهو خير لكم) .. والخير فيما اختاره الله سبحانه ..

فقال (محمود) فى غضب شديد ممزوج بالمقت .. وعيناه قد أصبحتا حمراوتين من شدة الغضب والقهر والشعور بالعجز :

ــ سأقتله .. أقسم بالله العظيم ....

فقاطعه (عونى) فى سرعة : حرام عليك يا محمود ..

ثم استطرد قائلاً :

ــ أتقسم بالله على جريمة .. على الحرام .. ثم إنه قد انتهى هذا الأمر .. وليس هناك أى فائدة .. من هذا الكلام ..

ثم أردف وقد وضع يده على كتفه محاولاً مواساته فى مصيبته :

ــ ربنا يعوضك فى (أحمد) .. إن شاء الله تعالى .

فقـال (محمـود) وقـد ترقرقت الدموع الحـارقة .. على كلا وجنتيه : يا مين يعيش يا عونى بك.

فقال هذا الأخير : حرام عليك نفسك .. إنك لن تجنى .. من خلف كل هذا ثمة شىء .. ثم استطرد فى همس : انظر إلى (رمضان) بك .. لقد تزوج مرتين .. وعاش مع الأولى خمس عشرة سنة .. ثم عاش مع الثانية حتى الآن ، وهما الآن ما زالا على ذمته .. وفعل الأفاعيل .. وصرف ما صرف .. وأطفال أنابيب .. ولم يبخل عليهن .. وعلى نفسه .. بثمة شىء .. حتى إنه وكما يقولون .. ليتمنى طفلاً أعرج .. فقال (محمود) فى حسرة : يا لحسن حظه .. إنه إنسان محظوظ .. ثم استدرك قائلاً : ولكنه لا يدرك ذلك

فقال عونى :

ــ لا تكفر بنعم الله وآلائه عليك .. واصبر واشكر .. وقل الحمد لله .. فلن يأخذ أيًا منا أكثر من نصيبه الذى قسمه الله سبحانه له .. وليس علينا سوى أن نرضى بذلك .. شاكرين أنعمه

Looloo
www.looloolibrary.com

علينا ، ثم أردف باسمًا : ثم إننى أعلم أنك مصدوم الآن .. وليس هناك فائدة من الكلام معك الآن ..

فقال محمود فى حزن وانكسار :

ــ اتركنى الآن يا عونى ..

فقال هذا الأخير بذات لهجته :

ــ نصيحة أخيرًا .. يا (محمود) .. قم وتوضأ .. ثم صلِّ ركعتين له سبحانه .. حتى يخفف عنك ما أنت فيه .. سلام مؤقتًا الآن ..

وما أن خرج هذا الأخير حتى انفجر (محمود) فى البكاء ..

وشرع يبكى .. ويبكى .. ويبكى ..

ولم يدر كم من الوقت قد مر عليه .. وهو على هذه الحال .. ولكنه بكى حتى جفت الدموع من عينيه ..

* * *

8 ـ الشـــيطان ..

وأخيرًا .. وليس آخرًا .. قرر اللجوء إليه سبحانه ، وسرعان ما قام وتوضأ .. ثم أخذ يصلى .. ويصلى .. له سبحانه .. وبعد انتهائه من صلاته .. وشعوره بالهدوء والسكينة .. إلا أنه رغم ذلك .. قرر الانتقام من نجله .. عند عودته .. وطفق الشيطان يرسم .. ويعد له خطة جهنمية .. للانتقام من ابنه اللعين هذا وسرعان ما شرع الشيطان يوسوس .. ويزين له سوء عمله .. ولم ينم الأب .. فى هذه الليلة الظلماء .. من شدة الحزن .. والغليان .. والاكتئاب .. واستطاع الأب النوم أخيرًا بالكاد بعد صلاة الفجر .. واستيقظ الأب مريضًا .. بنزلة برد شديدة جدًّا .. لم يصب بمثلها فى القوة من قبل .. ووقر فى قلبه أن هذا المرض هو رسالة من الله سبحانه .. حتى يرضى بما حدث .. ويرحم نجله .. ولا ينتقم منه .. إلا أن الشيطان بدهائه .. استطاع طى .. هذه الرسالة الربانية .. عن طريق تنمية .. وتغذية الكراهية والغيظ الشديدين .. فى قلبه .. وصدره ..

www.looloolibrary.com

وزاد المرض على (محمود) ، ومع ذلك قرر هذا الأخير .. الاستمرار فى عناده .. وغيه .. والإلصاق للشيطان فى طيه للرسالة .. ورغم أن هذا الأخير قد تحدث مع زوجته (سمية) .. عدة مرات .. ولكنه لم يخبرها بثمة شىء .. وذلك حتى يفاجئ .. نجله وينزل به أشد العقاب .. وعاد (محمود) إلى بيته .. واستقبله (نادر) باسمًا بالأسفل .. والأب ينظر إليه .. والشرر يتطاير من عينيه .. والأب فى حالة استغراب .. فهذا الابن اللعين يتعامل معه .. ويكأنه لم يفعـل ثمة شىء .. وكأنه لم يذبح والده .. يتصرف الابن فى براءة .. ووداعة .. وكأنه قد قام بفعل .. وتنفيذ رغبة والده .. وكان معهم الشقيق الأصغر .. آنذاك .. وساعتها نظر إليه الأب .. نظرة المحتاج إلى هذا الابن البار المطيع .. ودعا له بقلبه .. قبل لسانه .. أن يمد له فى العمر مدًا .. ربما كى يشاهد حلمه .. فى ابنه الأصغر هذه المرة .. وأن ينال ما حرمه الابن الأكبر منه .. وسرعان ما صعد الجميع إلى الأعلى ..

لاحظ (نادر) أن والده لم يستقبله .. جيدًا .. كما فعل مع شقيقه الأصغر (أحمد) .. وأن والده متغير تمامًا معه .. فى هذه المرة .. عن كل المرات السابقة .. وتوجس هذا الأخير فى

نفسه خيفة .. من والده .. ومع ذلك فلم يجل بخاطره أبدًا .. أن والده قد نما إلى علمه .. ما اقترفته يداه وما فعله .. بشأن انتقاله دون علم والده إلى كلية التجارة .. واستقبلته زوجته بكل حفاوة .. وترحاب ..

وهنا .. هنا فقط .. توجه الأب .. نحو نجله الأكبر .. وبداخله العزم .. والتصميم على الانتقام .. وعندما تقدم نحوه سأله مباشرة : هل من أخبار عن نتيجتك يا (نادر) .

وهنا سقط قلب (نادر) بين ضلوعه وهو يرد مرتجفًا : لا لم تظهر بعد ..

فقال له والده : ولكنى علمت النتيجة فأنت نجحت فى كلية ... التجارة .

وبمجرد لفظه هذه الكلمة إذا بيده تنزل كالصاعقة على خد نجله لتصفعه صفعة شديدة .. أودعها كل غضبه .. ومقته .. وحزنه .. وحنقه .. لدرجة أن نجله من شدة قوتها .. وقسوتها .. قـد سقط معهـا أرضًا .. وسالت الدماء مـن بين شفتيه .. وألجمت المفاجأة الجميع .. ولكن الأب .. الذى نجح الشيطان .. فى رى ظمئـه مـن نار الغضـب .. والمقـت .. والحسرة ..

www.looloolibrary.com

لم يشبع بالطبع من مجرد هذه الصفعة ، فهى لم ترو ظمأه للانتقام .. إذ سرعان ما انهال عليه ضربًا .. وركلاً .. وبطشًا .. بكلتا يديه .. وقدميه .. وتعمد الأب ركله بأقصى قوة بحذائه .. وأخيرًا انتبه الجميع لما يحدث .. ولكن (نادر) كان أول من أدرك .. سبب كل هذا الضرب والبطش واستسلم .. ولم يدافع حتى عن نفسه .. ولم يهرب .. ويجرى من أمام والده الغاضب .. وصرخت (سـمية) .. واندفعت هى .. و(أحمد) .. نحوهما كى يحاولان الذود عـن (نـادر) .. الذى قـام الأب بعجنه .. عجنًا .. وربما خبزه أيضًا .. ولم يفعـل (نـادر) شيئًا سوى أنه قد وضع يديه .. وذراعيه على وجهه .. لحماية وجهه من قوة .. وقسوة .. وشدة .. هذه الصفعات والركلات المتتالية .. وأخيرًا استطاعت كل مـن (سمية) و(أحمـد) بالكـاد إبعـاد (محمود) بعيدًا .. بعيـدًا عن (نادر) .. وبصعوبة شديدة بالطبع .. فقد كان الأب كالثـور الهائج بحق .. وصرخت الأم فى لوعة ممزوجة بالحزن :

ـ ماذا حدث ..؟ ماذا حدث ..؟.. ماذا فعل ؟ لماذا تفعل بولدك كل هذا ..؟ حرام عليك .. وما معنى قولك كلية التجارة ..

لم يجبها (محمود) على الفور مباشرة .. فقد كان بالكاد .. فى تلك اللحظات .. يحاول التقاط أنفاسه المتناثرة عقب بذل كل هذا المجهود الجبار .. حال ضربه لولده .. سيما وأنه قد كان فى غاية المرض .. بل لقد نال منه المرض مبلغه .. وأخيرًا أجابها .. وهو يلهث من فرط وشدة التعب والإجهاد والانفعال .. وهو يقول بصوت مبحوح :

هذا الكلب .. هذا الحقير .. قام بتحويل نفسه بنفسه من كلية الحقوق .. إلى كلية التجارة .. ولم .. ولم ..

ولم يستطع الأب إكمال عبارته .. فقد سقط هذا الأخير فاقد الوعى .. من شدة الإعياء والمرض والإنهاك .. والحزن .. والغضب .. فقد استهلك كل مخزونه من الطاقة .. والقدرة المتبقية فى جسده .. على الوقوف والصمود .. فسرعان ما انهار جسده .. ولم يتحمل هذه الصدمة العصبية المدوية .. مع المرض .. والضرب والبطش .. وكذا مع المضادات الحيوية .. وجرعات الأدوية .. والتى استحصل عليها فى أسيوط .. لتخفيف حدة ووطأة المرض عليه .. وصرخت الزوجة بكل ما يعتمل فى أعماقها .. من خوف .. وحزن .. وغضب .. وقلق .. من أن

looloo www.looloolibrary.com

يصاب زوجها الحبيب بثمة مكروه ، وتعاون الجميع بلا استثناء على حمله .. ووضعه على سريره .. حتى (نادر) الذى تلقى .. منذ لحظات .. أقوى وأعنف الضربات واللكمات .. فى حياته كلها .. وسرعان ما اتصلت (سمية) بالمستشفى وحضرت سيارة الإسعاف وفى تلك الأثناء .. أحضرت(سمية) أحد أقوى العطور .. التى يحتفظ بها زوجها .. وقامت بوضعها على أنفه لإفاقته .. ولكن دون جدوى .. وباءت كل محاولاتها بالفشل الذريع مرة أخرى ..وحمل رجال الإسعاف زوجها إلى السيارة .. وانتقل الجميع بلا استثناء إلى هناك .. واضطر الأطباء إلى نقله إلى قسم العناية المركزة .. وذلك لتلقى أعلى أنواع الرعاية والاهتمام هناك .. وأخيرًا استفاق (محمود) من غيبوبته .. وذلك بعد حوالى نصف يوم كامل .. كادت تموت فيها (سمية) .. من شدة رعبها على زوجها .. والغريب أنها لم تلق اللوم على نجلها الأكبر .. فقد كانت مقتنعة بأنه مجرد ابتلاء منه سبحانه .. وفى اليوم التالى سمح الأطباء .. لأفراد هذه الأسرة الصغيرة .. بالدلوف إلى رب هذه الأسرة .. وسرعان ما قال الأب لنجله الأكبر فى وهن :

ــ اخرج من هنا .. ولا تطأ غرفتى بقدميك .. اخرج لا أريد رؤيتك .. أبدًا .. أبدًا مرة أخرى .

فقال (نادر) فى خزى ممزوج بالخجل .. وقد ازرقت عيناه .. وتورمتا كلتا شفتيه ، من قسوة .. وقوة .. وعنف ضرب والده المبرح له : أنا آسف يا ...

فقاطعه والده فى عصبية وقد احتد صوته :

ــ قلت لك اخرج .. اخرج .. يا ..

ولم يستطع هــذا الأخيــر إكمال عبارته .. وشرع يسعل فى قــوة .. وهنا قالت (سمية) فى حنان ممزوج بالجزع لنجلها من بين دموعها :

ــ اخرج الآن يا (نادر) ..

وقد انفطر قلبها .. على ما آل إليه حال زوجها .. وقرة عينها نجلها .. ثم أردفت بذات لهجتها السابقة :

ــ امش الآن .. (يا نادر) أرجوك .. ولا تعد إلا عندما أخبرك بذلك .. أو يسمح لك والدك بذلك .

Looloo
www.looloolibrary.com

كانت تقولها .. وهى غير مقتنعة بما تقوله .. فهى تعرف زوجها تمام المعرفة .. فهو لن يسامح (نجله) على جريمته النكراء هذه .. بسهولة .. وحدث ما كانت تتوقعه .. فقد رفض (محمود) طوال أربعة أيام كاملة .. زيارة نجله (نادر) إليه .. ومجرد رؤيته .. والدلوف إلى غرفته .. نهائيًا ..

فقد كان (نادر) يذهب إلى البيت .. ثم يعود إلى المستشفى .. لإحضار ملابس أو طعام .. دون أن يجرؤ على أن يخطو .. مجرد خطوة واحدة .. إلى داخل غرفة والده بالمستشفى .. فكم كان يتمنى مجرد الاطمئنان على والده .. ورؤيته .. فقد اشتاق إليه بحق .. ولكن والده لم يمكنه من ذلك .. وخرج (محمود) من المستشفى .. ورفض الأب أن يكون نجله الأكبر فى انتظاره .. ورفض مشاهدته كليًا .. ونسبيًا ..

وانتظر (نادر) والده فى البيت .. بفارغ الصبر .. كم كان يتمنى ، أن يرتمى فى أحضانه .. ويعتذر له وينكب على كلتا يديه وقدميه ليقبلهما .. عما اقترفته يداه .. رغم كل ما فعل به والده حتى الآن .. من ضرب وإهانة وسب وطرد .. ولكن هذا لم يؤثر على هذا الأخير .. نحو والده .. وعاد الأب إلى البيت ..

واندفع الابن نحو والده .. بكل لهفة وشوق .. إلا أن والده قد قام بدفعه بكل قسوة .. ممكنة .. وذلك حتى لا يسلم عليه أو يحتضنه .. كما كان (نادر) يتمنى .. وهنا قال (محمود) فى غضب :

ـ اسمع أيها الحقير .. هل ستعود إلى كلية الحقوق أم لا ..؟

فأجابه (نادر) فى انكسار ممزوج بالإصرار وهـو مطأطئ رأسه :

ـ كلا يا أبى .. أنا أعشق كلية التجارة .. ولن أتخلى عنها أبدًا ..

وهنا قال الأب فى مقت شديد :

ـ إذن قد اخترت طريقك .. ورفضت طريقى .. وليس عليك سوى أن تتحمل مغبـة .. وعواقب ذلك منـذ الآن .. وحتى الممات ..

ثم أردف الأب بذات لهجته :

منذ الآن .. عليك غضب الله فى الأرض .. والسماء ولعنته .. منذ الآن أنت ميت تمامًا بالنسبة لى

Looloo
www.looloolibrary.com

منذ الآن .. أنت أثقل ضيف على هـذا البيت .. وعلى هذه الأسرة الطيبة .. بل أنت شخص كريه .. غير مرغوب فيك بالمرة ..

وهنا قالت (سمية) وقد انشطر قلبها .. من فرط حزنها ولوعتها على ما يحدث أمامها وتراه وتسمعه :

ـ كفى .. كفى يا (محمود) .. حرام عليك ..

ثم استطرد الأب بذات لهجته :

ـ إننى لم أنجب سوى .. ولدى وحبيبى (أحمد) .. بارك الله سبحانه لى فيه ..

ثم أردف الأب قائلاً : ومع ذلك .. ومن أجله سبحانه وتعالى فقط .. سأؤدى رسالتى معك حتى النهاية .. حتى تتخرج من هذه الكلية الملعونة .. والتى اخترتها بنفسك .. وسأصرف عليك .. حتى النهاية .. وحتى تحمل شهادتك الملعونة .. ليس لأنك تستحق ذلك .. ولكن حتى لا يعيب الناس على .. وأصبح معيرة .. بين النـاس بسبب شخص حقيـر مثلك .. وبعدهـا فلتتحمل مسئولية نفسك . بنفسك ..

وفى تلك اللحظات .. كانت دموع (نادر) تسيل على وجنتيه .. حارقه تشوى لحم خديه شيًا .. وهنا صرخت الأم بكل ما يعتمل فى أعماقها .. من حزن ممزوج بالحنان .. على نجلها الضعيف .. المسكين (نادر) الذى لا حول ولا قوة له .. وهو يستمع إلى كل طعنات والده فى صمت .. مكسور .. مقهور .. دون أن يجرؤ حتى على الرد :

ـ كفى يا (محمود) كفى .. حرام عليك .. لن أتحمل أكثر من ذلك .. حرام عليك .. إنه ما زال ابنـ ....

فقاطعها الأب صارخًا :

ـ إياك أن تنطقيها .. إنه ليس ابنى .. إنه عمل غير صالح .. وليغفر الله لى سبحانه وتعالى عليه ..

ثم استطرد قائلاً بنفس لهجته الغاضبة الحادة :

ويجب أن تعلم .. أنه من الآن فصاعدًا .. ليس لك عندى سوى مصاريف التعليم فقط .. وليس لك عندى مصاريف زواج .. أو شقة .. وحتى البيت الجديد ليس لك نصيب فيه ..

Looloo
www.looloolibrary.com

وإن أدركنى الموت يومًا ما .. فلا تأخذ عزائى .. ولا تبكى على ، بل ولا تدعو لى أيضًا ..

وإن أدركك الموت أنت .. فيا ريت ..

فساعتها .. لن أدفنك إلا هناك ..

فى مقابر الصدقة .. والمتسولين ..

* * *

9 ـ خلـــــود ..

وسرعان ما وقف الأب واتجه إلى غرفته .. وسرعان ما تذكر هذا الأخير شيئًا .. فاستدار وهو ما يزال يقف على عتبة غرفته ثم قال :

ـ وإذا تزوجت فسأذهب معك مرة للخطوبة .. ومرة فى عقد الزواج .. ومرة فى الزفاف .. ومرة فى صباح عرسك .. ليس هذا من أجلك .. ثم استدرك الأب قائلاً : ولكن من أجل عائلة زوجتك .. الذين بالتأكيد سيكونون على نفس شاكلتك أو ربما يكونون أسوأ منك .. فالطيور على أشكالها تقع ..

وسرعان ما انصرف كالطوفان .. وصفق باب غرفته خلفه فى قوة ممزوجة بالقسوة .. وساعتها استكانت نفسه تمامًا .. على الرغم من أنه قد شعر . بأنه لم يأخذ حقه من نجله تمامًا .. كما ينبغى ..

وسرعان ما استكان معه الشيطان الرجيم .. والذى قام بتأدية مهمته .. على أكمل وجه .. واحتضنت الأم نجلها المطرود .. باكية فى حزن شديد .. واستجاب (الابن) لها .. واستكان فى

Looloo
www.looloolibrary.com

أحضانها .. وسرعان ما انخرط فى بكاء حار .. على صدرها .. ولم يستحِ من أن ينتحب فى أحضانها .. وربت (أحمد) على كتفه .. وقد حاول أن يقول ثمة شىء .. ولكن لم يقدر .. ولم يجد فى قاموس اللغة العربية .. ثمه كلمة مناسبة لهذا الموقف .. وهنا قالت الأم معاتبة .. فى لهجة تأنيب شديدة :

ــ ما هذه الجريمة الشنعاء .. التى اقترفتها يا ولدى ؟؟

ولم يستطع نجلها .. الإجابة من شدة الخجل .. فأردفت الأم كلامها قائلة وهى غير مقتنعة بما تقول :

ــ على العموم والدك .. طيب .. وسينسى إن شاء الله .. ما فعلت .. وبمرور الأيام ....

فقاطعها (نجلها) بصوت مختنق باسمًا من شدة الحزن :

ــ هل تمزحين يا أمى ؟؟

ثم أردف بنفس لهجته :

ــ إنك لا تعرفين أبى .. أكثر منى .. لن يسامحنى .. ولن يصفح عنى .. ولن يصـفو لى أبدًا .. فى يوم من الأيام ..

وسترين .. فقد يصفح عن أى شخص منكما .. بل قد يصفح .. عن أى شخص فى الوجود كله إلا أنا ..

واستدركت الأم بذات لهجتها :

ــ ولكن ما فعلته جريمة نكراء بحق يا ولدى ..

وهنا كفكف (نادر) دموعه الحارقة .. والتى تسيل بغزارة .. على كلا وجنتيه .. ثم قال فى إصرار :

ــ اعلم .. أن ما فعلته .. ليس هينًا .. وليس سهلاً .. وأن هذا الأمر .. سيأخذ وقتًا كبيرًا .. حالما يمر .. ثم استدرك قائلاً :

ولكن سأدع الأيام .. والليالى ، هى التى تصلح فيما بيننا .. ربما تستطيع رأب هذا الصدع .. وليس هناك شىء بعيد .. عن قدرته .. وطلاقة قدرته سبحانه .. إن شاء الله تعالى .. وسأشق طريقى .. بلا توقف .. مهما حدث .. وهنا قالت الأم :

ــ أليس هناك أمل .. فى أى تعـود إلى كليـة الحقوق مرة أخرى ؟؟

فنظر إلى أمه باسمًا ثم قال : سبق السيف العذل يا أمى .. ثم أردف قائلاً : ولن يضير الشاة سلخها .. بعد ذبحها يا أمى ..

Looloo www.looloolibrary.com

ثم انصرف إلى غرفته فى هدوء .. ولم تعلق أمه مرة أخرى .. وأدركت أن بيتها منذ اليوم .. قد انشطر إلى قسمين .. أو حزبين .. وأنها ستتعب كثيرًا كثيرًا .. فى الأيام القادمة .. فى مواجهة ذلك .. وأن عليها أن تصبر حتى تعتاد على ذلك .. ونظرت الأمر إلى ابنها الأصغر (أحمد) .. وتبادلا النظرات بدون تعليق .. فسأل (أحمد) فى هدوء :

ـ هل أدخل إليه الآن يا أمى ؟

فقالت الأم فى حزن .. وهى تجلس على أقرب المقاعد إليها :

كلا .. اتركه الآن يا (أحمد) .. دعه ينفرد بنفسه قليلاً .. ربما يعود إلى رشده .. ربما ، ونظر كل منهما إلى الآخر .. وقد دار فى داخل كل منهما .. ذات السؤال ..

هل ستقدر الأيام والليالى .. على رأب هذا الصدع الذى حدث .. فى هذه الأسرة الصغيرة .. وإصلاح ذلك الشق الكبير .. والذى هجم عليهم .. بلا رحمة ، هل ستستطيع الأيام .. والليالى ؟ التوفيق والصلح .. بينهما فى يوم من الأيام .. أم أن هذا سيكون من رابع المستحيل ولن يحدث أبدًا ..

أبدًا ..

أبدًا ..

* * *

منذ عاد الأب من المستشفى .. لم يعامل نجله إلا بأسلوب واحد .. وهو أن نجله المجرم .. قد مات تمامًا .. ونهائيًا .. بالنسبة له .. ومرت السنون و(نادر) يحاول المستحيل مع والده بشتى الطرق .. لمصالحته واسترضائه دونما فائدة .. وباءت كل محاولاته بالفشل الذريع .. بل وباءت كل محاولات الجميع .. بلا استثناء .. بالفشل الذريع أيضًا .. وطوال هذه الأعوام .. لم يتبادل (الابن) ووالده ولو مجرد كلمة واحدة .. فقد أجبره والده على أن تكون .. كل تعاملاته وطلباته .. من خلال أمه .. أو شقيقه الأصغر (أحمد) .. وأصبح محرمًا على (نادر) التواجد أو الدلوف إلى أى مكان موجود فيه والده ..

ففى العام الأول .. كان (نادر) لا يجرؤ .. على الدلوف إلى غرفة نوم والديه .. ووالده موجود فيها .. ولا يجرؤ على الدلوف إلى غرفة مكتبه .. بل لقد كان (نادر) يتناول الطعام .. على مـدى الثلاث وجبـات .. بمفـرده .. وأحيانًا .. كانت أمه أو شقيقه الأصغر .. يعطفان ويشفقان عليه .. ويتناولان الطعام معه .. ولو لمرة واحدة .. فى اليوم .. ولم يكن هذا .. يحدث كل يوم بالطبع ..

Looloo
www.looloolibrary.com

ثم بدأ هو الحركة بغتة ...

فتح فكيه المخيفين ، وبدا وكأنه يطلق زمجرة أو فحيحًا ...

ولكن أحدًا منهم لم يسمع شيئًا ...

إلا أن كل النوافذ الزجاجية لعربة الفريق تشققت فجأة ...

وبكل توترها ، هتفت (سلوى) :

ــ مستحيل !!... إنه يطلق موجات فوق صوتية فائقة(*)!!... ما من كائن حى يمكنه هذا .

غمغم (نور) فى انفعال :

ــ ليس فى عالمنا بالتأكيد .

مع آخر حروف كلماته ، انقض ذلك الكائن ...

انقض على عربة الفريق ، فصرخت (سلوى) ، وشهقت (نشوى) ، وتراجع (نور) و(أكرم) ، و ...

وارتطم الكائن بالعربة فى قوة ...

(*) الموجات فوق الصوتية قد تبلغ حدًا من الشدة ، يؤدى إلى تحطم الزجاج ، على الرغم من كونها غير مسموعة .

والواقع أنه كان ارتطامًا شديد العنف ، كاد يقلب السيارة على جانبها ...

وبكل ذعرها ، هتفت (نشوى) :

ــ رباه .... السيارة لن تحتمل ضربتين أخريين .

تراجع ذلك الكائن ، وأطلق من حلقه صرخة فوق صوتية أخرى ، تضاعف لها تشقق الزجاج ، فأضافت (سلوى) فى هلع :

ــ وهذا الزجاج سينهار ، بعد صرخة ثالثة .

سحب (نور) مسدسه الليزرى فى حزم ، وهو يقول :

ــ ليس أمامنا سوى قاعدة (نابليون) إذن .

دفع باب السيارة الخلفى ، ووثب عبره ، مكملاً :

ــ الهجوم خير وسيلة للدفاع .

سحب (أكرم) مسدسه التقليدى بدوره ، هاتفًا :

ــ أخيرًا .

ثم وثب خلف (نور) ، فى نفس الوقت الذى كان الكائن يتراجع فيه ، مستعدًا لانقضاضة جديدة ...

Looloo
www.looloolibrary.com

ولو كان والده .. إنه لن يسمح لوالده بكسره وهزيمته أبدًا .. أبدًا .. وعلى الرغم من نزعته الدينية .. شرعت تحثه على طاعة والده .. والعدول عن فكره .. والدخول إلى كلية الحقوق .. مرة أخرى .. حتى لا يخسر الدنيا والآخرة .. فذلك هو الخسران المبين بحق .. وأنه لن يكسب ثمة شيء .. من جراء كل ما حدث .. وأن الموقف سيتحسن .. وسينقلب لصالحه .. وأنه لن يكون هناك ثمة خزى .. أو خجل .. أو عار .. لو انتصر والده .. وعاد إلى كلية الحقوق .. وانصاع له .. ليعيش تحت رحمته .. تحت قدميه حتى .. المهم ألا يخسر .. آخرته أبدًا .. مهما حدث .. فطاعة الأب من طاعة الرب ..

ومرة أخرى استطاع الشيطان بدهائه .. أن يكسب هذه المعركة الداخلية .. التى دارت فى داخل قلبه .. وعقله .. فأذله الشيطان .. بعيدًا .. وأقنعه بأنه على الحق المبين .. وألا يسمح له بأن ينهزم من والده .. مهما حدث أبدًا .. أبدًا ..

وأصبح هذا الأخير .. فى السنة الأخيرة بكلية التجارة .. وذات مرة .. فى بداية هذه السنة الدراسية الأخيرة له بالكلية ، وعند دلوفه إلى السيارة التى تنقل الركاب من محافظة سوهاج

إلى محافظة أسيوط .. تقابل هذا الأخير مصادفة مع أستاذه المفضل .. الأستاذ (محمد مصطفى) .. أستاذ مادة الرياضيات .. والذى كان يأخذ لديه دروسه الخصوصية فى الثانوية العامة .. وكم كانت فرحة كل منهما بالآخر .. وتعانق كل منهما فى قوة .. وتبادل كل منهما القبلات . وشرعا كل منهما يجتر الذكريات .. فى سعادة ممزوجة بالفرحة .. وكانت هذه السيارة هى أغرب سيارة .. ركبها (نادر) على مدى سنوات سفره .. وتنقله .. حيث كان ظهر الكراسى الأمامية .. والتى كان السائق يجلس من بينها .. عبارة عن كراسى هى الأخرى .. الكراسى فى ظهر السائق .. فى مواجهة الكراسى العادية .. التى تليها .. والتى يجلس عليها الركاب .. وأشار (محمد مصطفى) إلى الفتاة الجميلة .. والتى تجلس بجواره .. ثم قال (لنادر) :

ابنتى الغالية (خلود) .. فقد أصبحت طالبة فى كلية الآداب قسم إنجليزى .. بجامعة أسيوط .. ثم أردف الأب بنفس لهجته السعيدة :

وهذا أول يوم لها .. فى الكلية .. لذلك فأنا أسافر معها .. إلى جامعة أسيوط .. للاطمئنان عليها .. وساعدت الظروف (نادر) ..

Looloo
www.looloolibrary.com

حيث كان يجلس فى مواجهة هذه الفتاة الجميلة (خلود) .. وهنا نظر إليها (نادر) .. وهو يتفحصها مليًا .. ومكنه ذلك .. من الاستمتاع بجمالها .. وخجلها .. وأنوثتها الطاغية .. وسرعان ما قال (نادر) فى سرعة .. وفى مجاملة معروفة عنه .. وهو ينظر إليها :

ـ يا للروعة .. ما كل هذا الجمال الذى أرى ..

واندفعت الدماء غزيرة .. تغذو كلا وجنتيها بضراوة .. فزادها ذلك جمالاً .. على جمال .. ثم أردف وهو ينظر إلى أبيها هذه المرة :

ـ من شابه أباه فما ظلم ..

فوخذه (محمد) فى كتفه قائلاً فى مرح :

هل تغازل ابنتى أمامى .. ما زلت شقيًا .. كما أنت .. وهنا طأطأ (نادر) رأسه أرضًا .. واغتصب ابتسامة لم تزر شفتيه منذ فترة طويلة جدًا .. ثم قال فى خجل :

كلا والله يا أستاذ (محمد) فأنت تعرفنى جيدًا ..

وكانت (خلود) تستمع إليهما .. وقد أطرقت برأسها أرضًا .. بينما هو .. كان يختلس النظر إليها .. من آن لآخر .. فقد كانت هذه الفتاة .. فتاة جميلة بحق .. بل يمكن القول .. بأنها كانت .. بالنسبة له نموذجًا مجسمًا للجمال .. أو بمعنى أدق .. لفتاة أحلامه .. فقد كانت بيضاء .. طويلة .. عيناها خضراوتين ، يظهر من أسفل حجابها .. خصلات صغيرة شقراء من شعرها .. حتى شعر حاجبيها .. فقد كان يغلب عليه لون شعرها .. وأما عن شفتيها ووجنتيها .. فحدث ولا حرج .. فقد كان بهما احمرار طبيعى كالدماء القانية .. رفيعة .. متسقة القوام .. والجسد .. باختصار .. لقد دق قلبه لمحياها .. بمجرد رؤيتها وهى كانت تستحق ذلك ..

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

10 ـ الأحـــلام ..

وطوال الطريق .. كان (نادر) وأستاذه .. يتجاذبان أطراف الحديث .. وفى تلك الأثناء كان هو يختلس النظر إليها .. من آن لآخر .. وأعجب هو بها أكثر .. وأكثر .. وبخجلها وحيائها .. وأدبها الجم .. باختصار ومع اقتراب الوصـــول .. إلى أسيوط كانت هذه الفتاة الجميلة .. قد أسرته بأدبها وخجلها .. وأخرجه من هيامه بها سؤال والدها له :

ـ كيف حالك فى كلية الحقوق ؟ وكيف حال والدك .. معالى المستشار (محمود بك) ؟

فأجابه فى حزن مطأطئ الرأس :

ـ فى الحقيقة .. أنا الآن فى السنة الأخيرة بكلية التجارة .. أما أبى فهو بفضل الله سبحانه .. فى أحسن حال .

فسأله (محمد) فى دهشة حقيقية هذه المرة :

ـ وكيف هذا ؟

ثم أردف بنفس لهجته : لقد سمعت ..

فقاطعه (نادر) فى سرعة وقد اغتصب ابتسامة أخرى :

ـ لقد تركت كلية الحقوق ، وانتقلت إلى كلية التجارة.

فقال (محمد) فى حزن :

خسارة .. وألف خسارة يا (نادر) .. لقد أضعت على نفسك فرصة حقيقية .. ثم استطرد باسمًا :

ـ فرصة نادرة .. فرصة يتمناها الملايين بحق .. من شباب هذا الجيل بالفعل .. بل إن أقرانك كانوا يحسدونك عليها بسبب ذلك ..

فقال (نادر) مبتسمًا فى حزن محاولاً تغيير دفة الحديث : دعك من هذا الآن ..

فقاطعه الأول فى سرعة وهو يقول :

ـ أخبرنى أولاً ما هى أخبار (أحمد) ؟؟

فأجابه الثانى :

ـ أحمد من ؟

فقال (محمد) فى غضب : (أحمد سمير) ..

Looloo
www.looloolibrary.com

فقال الثانى وقد تذكره : آه (أحمد سمير) .. ثم أجاب فى بساطة :

لقد حصل على مجموع صغير .. حوالى خمسة وخمسين فى المائة .. أو أقل .. وحاليًا مكث فى حانوت والده لبيع البضائع .. فمط الأول شفتيه .. ثم قال فى حسرة :

إن أمثاله كثير عليه هذا المجموع .. وطوال الطريق من محافظة سوهاج .. إلى محافظة أسيوط .. كان (نادر) يفكر فهو لا يمتلك من النقود .. سوى قيمة الذهاب وقيمة العودة .. وبعض الجنيهات القليلة .. لا تتجاوز الخمس .. حتى يتسنى له الطعام والشراب إذا أراد .. و كم كان يتمنى .. فى هذه اللحظة بالتحديد .. أن يكون معه من النقود .. حتى يستطيع أن يدفع قيمة الأجرة لأستاذه ونجلته .. وبكى قلبه بدموع من دم .. فى حزن بالغ وكمد .. وأسى .. وقهر .. على ما آل إليه حاله .. وما فعله به والده .. وكم تمنت دمعة حبيسة .. أن تفر من إحدى مقلتيه .. ولكنه حاول كبتها .. وحـاول .. ولكنها كانت أقوى منه ومن سجن جفنيه .. الفولاذى ، وتظاهر هو بأن ذرات من التراب .. قـد دخلت إلى عينيـه .. ولكنه ومع ذلك .. كان

يعيش حالة من النشوة .. الحقيقية .. الجميلة .. المنعشة .. بسبب رؤيته لخلـود .. تلك الفتـاة الجميلة أو بمعنى أدق .. (فتاة أحلامه) ...

كان كلما نظر إليها وتقابلت عيونهما ..على الرغم من أن هذا الأمر .. كان لا يستغرق سوى بضع ثوان قليلة .. سرى تيار كهربائى عنيف .. فى قلبه وصدره .. وعقله .. لدرجة أن قلبه كان يخفق بكل قوة .. وعنف ، لدرجة أنه كان يخشى أن يسمع أستاذه .. دقات قلبه من شدة علو صوت خفقانه آنذاك .. وكلما مر الوقت زاد هيامه بها .. أكثر وأكثر .. وعلى الرغم من أنه قد شاهد .. فتيات كثيرات فى كليته .. بصفة خاصة .. وفى الجامعة بصفة عامة .. بل وتحدث إليهن .. كثيرًا .. كثيرًا .. إلا أنه لم تستطع أى واحدة منهن .. أن تلفت نظره .. أو تجذبه .. حتى كما فعلت هذه الفتاة الحسناء .. الفاتنة .. واعترف فى داخل نفسه أخيرًا .. وقبل أن يصل .. وينتهى به الطريق بأنه قد سقط فريسة سهلة للحب .. فلم يكن يقتنع يومًا .. بأن هناك شيئًا يدعى .. الحب من أول نظرة .. ولكنه أخيرًا .. سقط فريسة سائغة فى شباكه بدون أى تحذيرات .. وبدون أى مقدمات ..

Looloo
www.looloolibrary.com

وأخيرًا اقتربت محطة الوصول .. إلى حيث محافظة أسيوط .. وحانت لحظة الدفع والحساب .. وساعتها نظر (نادر) للجهة المقابلة .. وكأنه لا يرى أستاذه .. أو كأن هذا الأخير .. غير موجود تمامًا بالسيارة .. ولمح (نادر) بطرف عينه أستاذه .. وهو يخرج حافظة نقود .. لسداد قيمة الأجرة المستحقة فى السيارة .. آنذاك .. وبعد أن أبصر (نادر) أستاذه يفعل ذلك .. ثم أبصره بطرف عينه .. وهو يخرج نقوده بالفعل .. هم هذا الأخير بالسداد آنذاك .. ساعتها أخرج (نادر) حافظة نقوده .. متظاهرًا بمحاولة القيام بالسداد بحق .. وهو يرتعد خوفا من القيام بالسداد بحق .. إلا أن أستاذه أبى ورفض بكل شدة .. وأقسم عليه بأغلظ الأيمان .. بأن يقوم هو بالسداد عنه .. وله .. وأنه بمثابة نجله .. وأنه فى مقام نجلته (خلود) .. وأنه لا يوجد ثمة فرق فيما بينهم .. وأقسم عليه .. وأمرة بإدخال وإعادة نقوده إلى جيبه .. وألا يحاول فعل ذلك مرة أخرى .. مهما حدث .. ثم قال (محمد) فى جدية :

كيف تفعل ذلك يا (نادر) ؟؟ ألست مثل والدك ؟

وحمد (نادر) الله سبحانه وتعالى .. أن أستاذه هو الذى قام بالدفع .. فلو دفع هذا الأخير لثلاثتهم .. فلن يملك (نادر) ثمة نقود يعود بها إلى بيته .. وساعتها سيضطر إلى الاستدانة لكى يعود .. وهو لا يحب ذلك .. وعندما وصل الجميع إلى محافظة أسيوط .. كان قلبه قد أعلن الاستسلام التام .. بل ورفع الراية البيضاء .. فقد أصبح قلبه يهيم فى حبها .. وجمالها .. كل هذا الحب .. دون أن يتبادل معها كلمة واحدة .. لدرجة أنه قد استعجب من نفسه .. ولقد كان قلبه فى تلك اللحظة يمر بحالة غريبة جدًا .. فقد كان حزينًا جدًا .. وسعيدًا جدًا فى ذات الوقت .. فقد كان يشعر بالحزن بسبب والده .. وما فعله .. ويفعله معه والده .. ولأنه وضعه فى هذا الموقف .. حيث إنه لا يملك ثمة نقود .. أو بمعنى أدق .. لا يملك النقود الكافية .. التى من المفترض أن تكون فى حوزته .. ليعيش فى مستواه .. ومستوى الطلبة .. أصدقائه .. ورفقاءه من حوله .. وأما السعادة فكان ذلك بالطبع لرؤية أستاذه الحبيب (محمـــد) ونجلته .. فتاة أحلامه (خلود) ، وكم تمنى فى هذه اللحظة إنهاء دراسته بأقصى سرعة .. ليتمكن من خطبتها .. والزواج منها ..

www.looloolibrary.com

وعلى الرغم من أن (نادر) قد سافر كثيرًا إلى حيث محافظة أسيوط .. إلا أنه يجب عليه الاعتراف بأن هذه .. هى أمتع رحلة سافرها .. فى عمرة كله .. بلا استثناء .. واستقل ثلاثتهم أحد التاكسيات .. حيث جامعة أسيوط ، وقام (أستاذه) بدفع الأجرة مرة أخرى .. وأصر (نادر) على مصاحبتهم إلى حيث يذهبون .. وأينما يذهبون ، وترك (نادر) جميع محاضراته فى هذا اليوم .. عن طيب خاطر من أجلهم .. أو بمعنى أدق .. من أجلها .. وكان هذا اليوم بالنسبة له هو أجمل .. وأمتع وأسعد أيام حياته على الإطلاق .. ولم يتركهم هذا الأخير .. إلا بعد أن اطمأن هو ووالدها .. عليها من حيث كل شىء فى كليتها ..

وانتهى اليوم بالنسبة (لنادر) بأقصى سرعة .. وسرعان ما عاد الجميع إلى موطنهم الأصلى .. بمحافظة سوهاج .. ومرة أخرى دفع أستاذه الأجرة .. فى المواصلات .. أو بمعنى أدق .. فإن (نادر) لم يصرف ثمة جنيه واحد .. فى هذا اليوم .. اللهم أنه قد أصر .. على دعوتهم على شرب المياه الغازية .. نظرًا لشدة الحرارة فى هـذا اليوم .. ومرت الأيام وركبت (خلود) معه المواصلات .. والتى تقلهم إلى حيث محافظة أسيوط .. طوال هذا العام حوالى عشرين مرة .. استحى هـو بالطبع أن

يتحدث معها ولو مرة .. ولكن لغة العيون .. كانت أقوى .. وأبلغ من أى كلام أو حوار .. وازداد قلبه تعلقًا وهيامًا وشغفًا بها .. وبالطبع كل هذه المقابلات كانت تتم بمحض المصادفة البحتة .. فهو لم يكن مـن النـوع .. الذى يطـارد فتـاة ما .. أو يمشى وراءها .. سيما وأنها ابنة أستاذه حبيبه .. ومرة واحدة فى العام كله جلست هى بجواره .. بطريق المصادفة أيضًا ، بل وجلست بجواره مضطرة آنذاك .. فقد كان آخر مكان فارغ فى السيارة .. والذى كان بجواره هو آنذاك .. ولم يستطع التحدث معها من شدة خجله منها .. وشدة خجلها هى منه .. إلا بكلمات قليلة .. وذلك بسؤالها عن والدها .. وأحوالها فى الكلية .. وأحوالها فى المدينة الجامعية للطالبات .. وهل تحتاج ثمة شىء ؟ وأنه فى مقام شقيقها .. لو أرادت ثمة شىء .. وكم كان يتمنى .. أن يدفع لها الأجرة آنذاك .. ولكنه أيضًا لم يستطع .. وكم كان قدر حزنه آنذاك .. وآلمه ذلك إلى أقصى درجة .. وصب لومه على والده آنذاك .. الذى كان السبب أيضًا فى حرمانه .. من أن يفعل شيئًا يسعده .. مثل ذلك فماذا ستقول عنه ؟ بعدما فعله والدها .. معه من قبل .. وترقرق الدمع كثيرًا فى قلبه .. حزنًا على نفسه .. وعدم استطاعته .. ولكنه فى هذا

www.looloolibrary.com

اليوم .. رغم حزنه الشديد .. فقد كان فى غاية السعادة أيضًا .. لأنه رآها .. وشاهدها .. وتحدث معها .. بل وتحدثت عيناه إلى عينيها .. وقلبه إلى قلبها .. أبلغ كلام ، بل لقد كان يخشى أن تسمع دقات قلبه العاشق .. الغارق فى حبها .. حتى النخاع .. وأدركت هى كم هو غارق فى حبها .. وبادلته الحب .. ولكن دون أن تفصح عن ذلك .. ودون أن تجعله يفهم ولو من نظرة عين .. فقد أحبته فى تعقل .. وكأن قلبها صندوق صغير تفتحه وقتما تشاء .. وتغلقه وقتما تشاء .. أما هو فكان حبه كالطوفان .. ليس له حدود .. وليس له ثمة شواطئ .. بل لقد كان حبه لها .. بمثابة طوق النجاة .. الذى أراد التعلق به للخروج من سجن وعذاب والده آنذاك ..

ومر هذا العام الأخير .. وحصل (نادر) أخيرًا على شهادته العليا بتقدير جيد كما كان يتمنى .. كما حصل على شهادة الخدمة العسكرية بالتأجيل لمدة ثلاث سنوات .. على الرغم من أن والده كان يدعو عليه بتأدية الخدمة العسكرية .. والالتحاق بالجيش .. وقام عمه (جمال) بتعيينه فى البنك معه مباشرة .. وقبض (نادر) أول راتب له .. من كده وعرقه .. وفضله سبحانه وتعالى .. وكم كانت فرحته وسعادته بذلك .. وانخرط

فى بكاء حار .. عندما انفرد بنفسه .. وبكى كما لم يبك من قبل .. من شدة فرحته بنفسه .. ونقوده .. وصلى ركعتين له سبحانه .. الذى من عليه وأكرمه سبحانه وأحضر هدية جميلة .. لأمه الحبيبة .. وبارك له الجميع .. إلا والده .. كالعادة .. وبدأ رحلته فى البحث عن شقة بالإيجار .. على الرغم من انتقال أسرته إلى البيت الجديد .. منذ عامين .. أو أكثر بالفعل .. ولكنه كان يعلم .. أن والده لن يسمح له .. بأن يعيش هو وزوجته .. معهم فى هذا البيت الجديد .. بل ولن يعطيه مجرد غرفة .. فى هذا البيت .. فضلاً عن أنه قد رأى فى هذا البيت اللعين .. من الأيام البغيضة .. السوداء .. ما رأى .. لذلك فقد كان يريد .. الابتعاد عن والده .. وسيطرة والده وتحكمه فيه .. بأى وسيلة كانت .. وكذا مله من سوء معاملة والده له .. ورفضه الدائم لشتى محاولات الصلح بينهما .. وهو لن ينسى عندما جاء عمه (جمال) لزيارة والده .. فى البيت بعد عودته من المستشفى .. فقد قام بتعنيفه .. تعنيفاً شديدًا ، واتهمه بتحريض (نادر) على فعل ذلك .. ثم نشبت مشاجرة كبيرة فيما بينهما .. ثم قام والده بطرد عمه .. شر طردة ، بعد أن أسمعه من الكلام ما لذ وطاب ..

Looloo
www.looloolibrary.com

واستطاعت عمتـه (صـفاء) والتى تشـاجر معهـا والـده أيضًا ـ بالكاد وبعد أكثر من عامين كاملين ـ التوفيق والصلح بينهما ..

وعثر (نادر) أخيرًا على شقة جميلة .. مناسبة وبإيجار معقول .. وتحقق حلمه الثالث .. فالأول كان كلية التجارة .. والثانى كان تعيينه فى البنك مع عمه .. ولم يتبق له سوى أجمل حلم .. وسأل عن (خلود) .. فوجدها كما هى .. لم تتم خطبتها بعد .. وذلك بعد مرور ستة أشهر من تعيينه بالبنك .. ولم يتبق له سوى الذهاب إليها لخطبتها .. واقترب حلمه الجميل من التحقق ..

* * *

11 ـ الزفـاف ..

وسرعان ما ذهب (نادر) إلى والده .. وفى أدب جم .. قال بصوت خفيض :

ـ السلام عليكم يا أبى ..

ولكن والده لم يرد السلام .. وسرعان ما قال هذا الأخير فى ضيق شديد وهو يتحاشى مجرد النظر إليه :

ـ ماذا تريد ؟

فقال (نادر) باسمًا :

ـ كيف حالك اليوم .. يا أبى ؟

فأجابه والده فى عبوس شديد .. وهذا الأخير ينظر إليه والشرر يكاد يتطاير من كلتا عينيه :

ـ اختصر .. ماذا تريد ؟

فأجابه الابن .. وقد آلمه ذلك الأسلوب الفظ .. المعتاد من والده .. وهو ينظر إلى الأرض .. حتى لا يتضايق والده .. من مجرد رؤياه :

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ لقـد وعدتنى .. يا أبى .. بأنك ستأتى معى عندما تحين اللحظة المناسبة للخطوبة ..

فسأله الأب .. ساخرًا :

ـ ومن صاحبة العصمة ؟

فأجابه الابن .. وهو يتحاشى سخريته :

ـ إنها تدعى (خلود) ابنة الأستاذ (محمد مصطفى) أستاذ مادة الرياضيات فى الثانوية العامة والذى كان ....

فقاطعه والده فى تجهم :

ـ أعرفه .. أعرفه ، ثم استدرك الأب بذات لهجته العابسة :

ولكننى لن أساعدك .. فى أى شىء .. كما تعلم ..

فقال الابن فى صدق :

ـ لست أريد سوى رضاك عنى .. يا أبى ..

فقال الأب بذات لهجته :

ـ هل تريد شيئًا آخر ؟

وآلمه .. أن والده لم يفعل معه .. مثل أمه الحبيبة .. كيف تعرفت عليها ؟ وأين شاهدتها ؟ هل هى فتاة جميلة ؟ وما عائلتها ؟ ولكن هذا الأخير تغاضى عن كل ذلك .. وسرعان ما قال الابن فى حنان :

ـ هل ستأتى معى يا أبى ؟

فسأله والده بذات لهجته السابقة :

ـ وهل عثرت على الشقة المناسبة ؟

فأجابه الابن فى حزن :

ـ نعم يا أبى .. لقد عثرت على الشقة المناسبة .

فقال الأب فى لهجة خالية من أى تعبير :

ـ عظيم .. عظيم ..

فسأله الأب : ومتى تريد الذهاب .. إلى هناك ؟

فأجابه (نادر) فى فرحة :

ـ فى الوقت الذى تقوم بتحديده أنت يا أبى ..

فسأله الأب :

Looloo
www.looloolibrary.com

ــ وهل معك رقم منزلهم ؟

فأجاب الابن فى سرعة : بالطبع يا أبى .

ولأن الأب كان فى غرفة مكتبه .. والتليفون بجواره آنذاك .. فرفع الأب السمَّاعة فى برود ثم قال : اتصل بهم ..

وسرعان ما قـام .. الابن بإجـراء المكالمة . ثم التحدث مع الأستاذ (محمد) شخصيًا .. وأمسك الأب السماعة .. ثم قال فى برود .. واقتضاب شديدين :

ــ كيف حالك يا أستاذ (محمد) ..

وسرعان ما تبـادل كلاهما السـلام والتحيات .. ثم استأذنه (محمود) فى زيارته ليلاً .. فى حوالى الساعة التاسعة مساءً .. وأبدى الأستاذ (محمد) رضاه .. وسعادته على الفور .. قائلاً فى سعادة، وقد اشتم بفراسة الأب سبب هذه الزيارة العائلية .. نحن فى انتظاركم يا معالى المستشار .. وإنه لشرف عظيم أن تزورنا بالطبع .. وهنا اندفع (الابن) يقبل رأس والده .. وكلتا يديه فى فرحة حقيقية .. ووالده يحاول إبعاده عنه بشتى الطرق .. وقد امتعض من قبلات نجله ..

وحضرت الأم .. واحتضنت وباركت لولدها .. ثم احتضنته فى قوة .. باكية .. فهى تعلم .. أنه سيبتعد عنها .. بهذه الزيجة فيما بعد .. ولكن ماذا تفعل ..؟ ما باليد حيلة .. وفى الميعاد المحدد تمامًا .. سرعان ما ذهبت هذه الأسرة الصغيرة إلى هناك .. واستقبلتهم الأسرة المستضيفة .. بكل حفاوة وترحاب .. ولأن الأب كان يحب الاختصار .. والدخول فى الموضوع مباشرة .. وسرعان ما فاتح الأب بالأمر .. وأبدى الأب فرحته وسعادته بذلك بالطبع .. وسرعان ما أحضر الأب ابنته .. وتحدث معها والد (نادر) بصراحة .. واحمر وجهها خجلاً .. أو بمعنى أدق .. انفجرت الدمـاء فى وجهها .. وانعقـد لسانها ولم تجب .. وسرعان ما انصرفت عدوًا .. وسرعان ما تمت قراءة الفاتحة .. فيما بين الأسرتين .. وانطلقت الزغاريد لتملأ .. جميع أرجاء المكان .. ثم قال الأب .. بجدية مداعبًا الأستاذ (محمد) :

ــ والله .. عروسة جميلة جدًا .. خسارة فى هذا البنى آدم ..

وضحك الجميع لدعابته .. ولكنه ونجله فقط ، كانا يعلمان بأنها ليست مجرد دعابة .. بحق، وأنه كان يتكلم بمنتهى الجدية .. وتمت قراءة الفاتحة .. فى تلك الليلة الجميلة .. وأحضر العريس لعروسه .. هدية جميلة .. خاتم ذهب .. واتفقت الأسرتان على

Looloo
www.looloolibrary.com

أن يتم الزفاف .. بعد انتهاء العروس .. من امتحانات الترم الثانى لكليتها ..

وفى اليوم التالى .. ذهب العريس إلى عروسته .. وتركته أسرتها ينفرد بها .. وبعد طول حديث .. اعتذر لها (نادر) .. والدمع قد ترقرق فى عينيه .. من أنه طوال المرات .. التى سافر كلاهما مع الآخر .. والتى كانت تستقل فيها المواصلات معه .. كان لا يدفع لها الحساب آنذاك .. وعلى الرغم من أنها .. لم يخطر ذلك ببالها قط .. وأنه لم يكن يجب عليه ذلك ، وأنها لم تكن تنتظر منه ثمة شىء من ذلك .. ولكنه أصر على الاعتذار لها .. وشرح لها ظروفه المادية آنذاك .. وأنه كان لا يملك ثمة نقود آنذاك .. ليحاسب ويدفع لها الأجرة الخاصة بها .. وأقسم لها بأنه سيعوضها عن كل ذلك فيما بعد .. وشرح لها ظروفه وحكى لها قصته .. وما حدث مع والده .. والسبب الحقيقى وراء كل ذلك .. وعلى الرغم من أنه قد حكى لها قصته بدموعه .. ولكنها لم تتعاطف معه .. وأسندت وأركنت الخطأ كله عليه .. أنه فرط فى الخير كله .. والذى يريده له والده مرتين .. المرة الأولى عندما اتخذ طريقه بنفسه ، ورفض طريق والده .. وحرم نفسه بنفسه .. من أن يكون يومًا ما وكيل النائب العام .. أى فى المقام والمنزلة الرفيعة .. والتى كان يتمناها له والده .. ويحلم

بها هذا الأخير بحق .. وهو خير كثير وليس بشر .. أما الخير الثانى .. والذى حرم (نادر) نفسه منه .. فهو رضا والده عليه .. فرضا الأب .. من رضا الرب ، واستطردت كلامها معه .. أن ما حدث قد حدث .. وأن مهمتها الأولى بعد الزواج بمشيئته تعالى .. ستكون محاولة رأب الصدع .. وترميم هذا الهدم .. فيما بين الأب ونجله .. ومضت الأيام وشرع (نادر) فى تأثيث شقته .. وتجهيزها .. بأحسن الأثاث .. استعدادًا للزفاف .

وفى تلك الأثناء كان (لخلود) ابن عم .. يدعى (سمير) .. وكان يعمل فى إحدى ورش إصلاح السيارات .. لم يتحصل من التعليم إلا على دبلوم فنى .. ولكنه كان يعشق (خلود) حتى الثمالة .. وكانت جل أمنيته فى هذه الدنيا .. الزواج بحبيبته (خلود) .. ونزل الأمر كالصاعقة .. على رأسه ونفسه .. عندما علم بأمر خطبتها .. وأنها ستتزوج غيره .. فيما بعد ..

وساعتها ذهب (سمير) إلى عمه (محمد) .. واستعطفه .. وتوسل إليه راجيًا باكيًا ، أن يعيد النظر فى أمر زواج حبيبته (خلود) .. وألا يحرمه من حبيبته أبدًا .. أبداً، ولكن (محمد) لم يستمع إليه .. بل ولم يعطه الفرصة لذلك، وعندما زاد الأمر عن حده .. قام (محمد) بصفعه صفعة قوية .. ثم قام بطرده من البيت شر طرده ..

Looloo
www.looloolibrary.com

وخرج (سمير) من بيت عمه مطرودًا .. مهزومًا مكسور الوجدان .. وأقسم فى داخله .. أن ينتقم من عمه وابنة عمه .. ولكن على طريقته الخاصة .. ومضت الأيام كالتروس الفولاذية .. لا تقف .. ولا تكف عن الدوران وتفرم كل من يعترض طريقها .. ولا تحزن ولا تأسى على مـــن تفرمه .. وباطـــن الأرض يضم الصعلوك .. ويضم أيضًا الملوك .. واستطاع نادر الحصول على قرض من البنك الذى يعمـــل فيـــه .. للمساعدة والمساهمة فى الزواج .. ولأنه يعلم بأن والده لن يساعده فى زواجه .. أبدًا .. أبدًا مهما حدث ، وبمرور الوقت .. كان العروسان يلتهمان السعادة التهامًا .. ويرفرف الحب بجناحيه عليهما .. ويظلهما تحت ظله .. وينعمان بدفء المشاعر .. ويرتويان من فيض الحب .. بلا شبع .. حتى حانت اللحظة المرتقبة .. والتى كان ينتظرها العروسان بفارغ الصبر .. يوم عقـــد القران .. وكان ذلك قبـــل الزفاف بأسبوع .. وذلك بعد أن قام (نادر) بتجهيز عش الزوجية الخاص بهما .. وحانت ليلة الزفاف .

* * *

كانت (خلود) فى غاية القلق والاضطراب والخوف الشديد .. وهى تتزين فى تلك الليلة .. ليلة زفافها لزوجها .. فى ليلة العمر .. حيث رفضت هذه العروس الجميلة .. وبكل إصرار .. الذهاب إلى الكوافير .. لتزيينها، وكانت معها (دعاء) ابنة عمها .. وشقيقة (سمير) .. وعلى الرغم من أن (محمد) والد العروس .. قد ذهب إلى (سمير) .. فيما بعد .. واعتذر له .. عما بدر منه .. وتصالح معه .. ودعاه لحضور عقد القران .. ولكن (سمير) لم ينس أبدًا .. ما فعله به عمه .. أبدًا ، وإهانته له .. وضربه وطرده من بيته .. المهم أن (العروس) كانت تنتفض آنذاك .. مثل أرنب صغير مسكين .. شاهد كل أقرانه وهم يذبحون ، وحان الدور عليه فى الذبح .. بينما القائم بالذبح يمسك سكينًا كبيرًا .. ويتجه نحوه فى قوة .. وعدم اهتمام، بينما السكين تقطر دماء أقرانه .. كانت تنتفض وترتعش .. لإقبالها على حياة جديدة مجهولة .. صحيح أن زوجها رجل طيب .. حنون .. عطوف .. يعشقها لدرجة الجنون .. وصحيح أنه كان يمسك بكلتا يديها فى الخطوبة .. بل وقام بتقبيلها بعد عقد القران .. ولكن اليوم وبعد انتقالها إلى بيت زوجها .. لن يمتلك مجرد يديها .. سيتغير اسمها من آنسة إلى مدام .. لن تحمل

www.looloolibrary.com

اسم أبيها بعد اليوم .. بل ستحمل اسم زوجها .. صحيح أن اسمها لن يتغير رسميا فى شهادة الميلاد .. أو تحقيق شخصيتها .. ولكن عرفيًا .. ستحمل اسم زوجها .. ستبتعد عن أسرتها الحبيبة .. عن أحضان وحنان والديها .. ستبتعد عن شقيقيها (ريهـام) و(شريف) فهى الكبيـرة .. ثم (ريهـام) ثم (شريف) .. بعد أن كانت تتمتع برعاية وحنان ومسئولية والديها .. ستصبح هى رسميًا مسئولة عن زوجها .. وعن إسعاده ورعايته والعناية به .. ستصبح مسئولة عن بيت جديد بمفردها .. كل صغيرة .. وكل كبيرة فيه .. بجميع الأعباء المنزلية الأخرى .. وذلك بعد أن كان الطعام يأتى إليها وهى نائمة كالملائكة فى السرير ..

آن الأوان لتفعل هى ذلك لزوجها الحنون .. طيب القلب .. الوديع .. دائم الاشتياق إليها ..

تُرى هل سيستمر كل هذا ؟؟؟

أم سيتغير .. كما أخبرتها كل النساء ..

هـل ستستطيع التوفيق ؟ بين زوجها وبيتها مـن ناحية .. واستكمال دراستها من ناحية أخرى ..

هل ستنجب أطفالاً ..؟

هل ستستطيع تحمل مسئولية هؤلاء الأطفال ؟

هل ستقدر عليهم بمفردها .. بجانب دراستها ؟

هل سيساعدها زوجها .. أم سيتغير كما أخبرتها النساء ..؟

هل ستستطيع التوفيق والصلح ..؟ فيما بين زوجها .. ووالده .. خاصة بعد أن أخبرها زوجها .. بكل ما حـدث فيما بينهما .. ورغم أنها لم تنصفه فى ذلك اليوم .. ولكنها لم تستطع رؤية دموعه .. وهو يقص عليها ما حدث .. فيما بينهما .. وشاركته بدموعها .. وآلت على نفسها .. الإصلاح بينهما ودعته سبحانه أن يوفقها فى ذلك ..

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

12 ـ الخطـــة ..

وفى خضم كل هذا .. وكل ما يعتمل فى نفسها من أفكار .. وكل ما يدور فى رأسها .. حتى لقد أصابها .. من شدة التفكير ثمة صداع شديد وشعرت معه .. بأن رأسها تكاد توشك على الانفجار بحق .. سألتها (دعاء) :

ـ ماذا بك يا .. جميل ؟

فأجابتها (خلود) فى عصبية :

ـ ما هذا يا دعاء لقد أفزعتنى ..

ثم استطردت (دعاء) مداعبة :

ـ يا إلهى .. يا لحسن حظه ..

فسألتها (خلود) فى شرود : من هو ؟

فأجابتها (دعاء) فى مرح : من هو .. صحيح يا ترى ؟

ثم أردفت هذه الأخيرة بنفس لهجتها :

ـ عريسنا .. عريسنا .. الجميل بالطبع ..

فقالت الأولى فى وجوم .. وهى ما زالت تنتفض :

ـ اتركينى الآن .. يا (دعاء) .. اتركينى لحالى ..

ثم أمسكت رأسها من شدة الصداع .. ثم شعرت بغصة فى قلبها .. فوضعت يدها الأخرى على قلبها ..

وفى تلك اللحظة .. دخلت (ريهام) .. شقيقة (خلود) والتى تصغرها بثلاث سنوات .. ثم قالت فى مرح :

ـ كيف حال عروستنا الجميلة ؟

ثم احتضنت (ريهام) العروس .. من الخلف .. فى فرح وسعادة .. ثم قبلت رأسها .. وهى تقول بنفس لهجتها :

ـ مبارك .. عليك يا حبيبتى ..

وهنا قالت (دعاء) لـ (ريهام) فى جدية :

ـ بعد إذنك يا ريهام .. اتركينا عشر دقائق ..

فغمزت هذه الأخيرة بعينها وهى تقول :

ـ كلام كبار .. أعرف ذلك .. أعرف ذلك

Looloo
www.looloolibrary.com

ثم انصرفت فى سرعة .. وطاعة ممزوجة بالأدب .. لكى تفسح لهما المجال فى التحدث .. بأكبر قدر من الحرية .. وهنا سألت (دعاء) (خلود) فى جدية :

ـ ماذا بك يا خلود ؟ هل حدث ثمة شىء وأنت ..

فقاطعتها هذه الأخيرة فى اختصار :

ـ مرعوبة .. مرعوبة .. يا دعاء

ثم انهارت (خلود) فى البكاء .. فنظرت (دعاء) حولها فى حذر .. مثل الفهد الذى يتحين الفرصة للانقضاض على فريسته .. على الرغم من كونهما بمفردهما فى الغرفة بحق .. ثم قالت فى همس :

ـ سأخبرك بشىء قد يصلح معك وفى حالتك هذه .. ولكِ أن تأخذى بهذه الفكرة .. أم لا .

فقالت (خلود) فى سخرية :

ـ ما هذه الفكرة .. يا شهر زاد الزمان ..

فقالت الثانية فى سرعة .. قبل أن تخاف وتتراجع :

ـ افعلى مثل (نجلاء فتحى) مع (محمود ياسين) فى فيلم (.... ....) أخبريه بأنك ما زلت تحبين شخصًا آخر .. ولم تتخلصى ..

فقاطعتها (خلود) فى عصبية :

ـ ماذا تقولين يا (دعاء) .. هل جننت ؟؟

ثم أردفت بذات لهجتها العصبية :

ـ أألصق هذه التهمة الشنعاء بنفسى .. أأدمر سمعتى وشرفى وبيتى بيدى .. أأحرق قلب زوجى الحبيب ..

فقاطعتها (دعاء) فى سرعة معتذرة :

ـ أنا آسفة .. أنا آسفة .. لم أقصد ذلك بالطبع والله يا حبيبتى ..

ثم أردفت بنفس لهجتها الشيطانية .. وذلك حتى لا يضيع أثر ما قالته .. أو ما ستقوله :

ـ أيتها البلهاء .. إنكِ ستعطين فرصـة لنفسك لكى تعتادى عليه .. ويعتاد عليك .. وتعتادى على بيتك .. والمكان الجديد .. الذى ستنتقلين إليه اليوم .. ثم تعتادى على بيتك وفراشك .. ثم

Looloo www.looloolibrary.com

تعتادى على زوجك .. ورويدًا .. رويدًا .. سيزول الخوف .. والتوتر والقلق والاضطراب .. وأية حواجز فيما بينكما .. ثم غمزت بعينها وقالت : ثم تهيأ .. وتزين له براحتك يا جميل ..

ثم استطردت هذه الثعبانة كلامها فى خبث ودهاء :

ــ وراوديه أنت عن نفسك أيضًا .. إن شئت فيما بعد .. ومتى شئت .. فلن يمنعك ثمة أحد من ذلك .. وغمزت بعينها مرة أخرى وهى تقول :

ــ مثل امرأة العزيز .. وقالت هيت لك ..

فقالت (خلود) فى عصبية شديدة :

ــ كلا .. كلا .. أغلقى هذا الموضوع ..

ثم أردفت فى عصبية أكثر :

ــ وما رأيك .. أنا لا أريدك اخرجى من غرفتى ..

فقالت (دعاء) ناصحة بكل أمانة :

ــ على العموم .. لقد نصحتك .. وأنت ..

فقاطعتها (خلود) فى سرعة :

ــ وبئس النصيحة .. وبئس الصديقة أنت ..

فقالت الثانية ضاحكة :

ــ شكرًا .. شكرًا لك .. يا صديقتى العزيزة ..

ثم أردفت فى سعادة زائفة :

ــ وأخيرًا .. لقد اكتملت زينتك

ثم احتضنتها وقبلتها قائلة :

ــ ألف .. ألف مبروك .. يا حبيبتى .. ثم أردفت بنفس لهجتها السابقة : حياة مديدة سعيدة إن شاء الله تعالى .

وهنا حضرت (نادية) والدة العروس .. ثم شقيقاها .. ثم (سمية) والدة العريس .. وبعض النساء من الأقارب .. والمعارف .. وانصرفت (دعاء) الشيطانة فى هدوء .. وسرعان ما شرعت تبحث عن شقيقها الشيطان الثانى (سمير) وعندما عثرت عليه سألها فى همس الثعابين :

ــ ماذا فعلت ؟

فأجابته فى اقتضاب هامس :

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ لقد أبت .. ورفضت .. بكل شدة ..

وكانت هـــذه هى خطـــة (سمير) .. فى الانتقام من عمه وابنته .. ولم تكن (دعاء) تعلم فى تلك اللحظة .. أنها قامت بزرع البذرة الشيطانية .. فى عقل وقلب (خلود) .. التى راح خوفها .. ورعبها .. وشيطانها .. يرويها ويرويها .. ويسقيها .. وينميها حتى نمت و تعاظمت إلى أقصى درجة .. ولم تعد تفكر فى سواها .. حتى وهى فى أثناء عرسها .. كانت مشغولة بتلك الفكرة .. إلى أقصى درجة .. ولم تشعر بها إلا أمها .. ولكنها طمأنتها .. بأن ذلك شىء طبيعى .. وأن ذلك سرعان ما سيزول .. بمجرد دلوفها إلى بيتهـــا الجديد .. فحتى (دعـــاء) لم تلاحظ ذلك .. على الرغم من أنها كانت بجوارها طوال العرس .. أما (سمير) فقد نمت شجرة الزقوم بداخله .. حتى كادت تحرق كل من حوله .. ولم يستطع الصبر حتى انتهاء الفرح .. فانصرف قبل انتهاء العرس بكثير .. والدموع تكوى قلبه قبل عينيه ..

وانتهى الزفـــاف .. وانصرف جميـــع الحاضرين .. وانتقل العروسان إلى حيث شقتهما الجديدة .. أو بمعنى أدق .. إلى حيث جنتهما الجديدة .. وودعتها أسرتها كلها .. بلا استثناء ..

بدموع منهمرة .. وأغلق (نادر) باب الشقة .. واحتضن عروسه فى سعادة وقوة .. غير مصدق بأن أجمل وأعظم أحلامه على الإطلاق قد تحقق .. وها هو يمسكه ويحتضنه بين يديه .. وانتقل كلاهما إلى حيث غرفة النوم .. وسرعان ما مسح لها دموعها المنهمرة .. من أثر البكاء .. بينما قلبها هى .. فلم يكن يقرع كقرع الطبول فقط .. بل لقد شعرت بأن زلزالاً أو ربما حرباً طاحنة بآلاف القنابل .. قد نشبت فى قلبها آنذاك .. واستأذن هو منها لتغيير ملابسه .. وذهب إلى غرفة الأطفال وخلع حلته .. التى كان يرتديها آنذاك .. وسرعان ما ارتدى هذا الأخير منامته .. بينما نظرت هى إلى السرير فى خوف ورعب شديدين .. وشرعت تتخيـــل .. ما ســـوف يحدث لها .. فيما بعد .. وانشطر قلبها أو بمعنى أدق انفجـــر قلبهـــا من شدة الخوف .. واتخذت قرارها فى سرعة .. وذلك تحت تأثير خوفها ورعبها الشديدين .. وهى لا تدرك عواقب الأمور بالطبع .. وما سوف ينتج عما ستفعله .. وأنها ربما قد تدمر حياتها الجميلة .. وذلك قبل أن تبدأ نتيجة لذلك ، وحضر (نادر) واحتضن زوجته بذراعيه من الخلف .. ثم قال فى صدق وسعادة :

ـ لقد أنرت بيتك يا أجمل عروسة فى الكون ..

Looloo
www.looloolibrary.com

وهنا بدلاً من أن تبادله نفس المشاعر والعاطفة .. قررت ضربه بالقاضية .. فقالت فى إصرار كاذب .. وهو ما زال يحتضنها من الخلف .. وفى غاية السعادة .. وتركته على هذه الحالة حتى لا يرى وجهها وعينيها :

ـ أتدرى يا (نادر) هناك شىء ، يجب أن أخبرك به ..

فضغط بذراعيه .. عليها أكثر وأكثر .. وهو مازال يحتضنها وهو يقول :

أتدرين أنت .. يا حبيبتى .. لقد تحدثنا كثيرًا كثيرًا جدًّا .. فى أيام الخطوبة .. واليوم هو ليس يوم الكلام .. وإنما هو ....

فقاطعته هى مرة أخرى ودقات قلبها تتعالى وتستعجب كيف لا يسمعها زوجها .. وقد فهمت بالطبع ما يرمى إليه زوجها .. وهنا ابتعدت عنه وتظاهرت بالجدية الشديدة وقالت:

ـ يجب أن أخبـرك أولاً .. حتى لا أشـعر بالغش والذنـب نحوك ..

وهنا قال (زوجها) مازحًا :

ـ هل العشاء .. الذى أحضرتموه ناقص فى شىء .

فتجاهلت لهجته الساخرة .. استجمعت قواها .. ألف .. الف مرة حتى لا تعود .. أو تتردد فى كلامها وهى تقول :

ـ لقد كنت أحب شخصا قبلك .. حبًّا قويًّا جارفًا ..

ثم استطردت وقد ألقت عبئًا كبيرًا من على قلبها ولسانها وكاهلها :

ـ ومازلت أحبه .. ويجب أن تصبر علىَّ .. حتى ينتهى حبه من قلبى نهائيًّا .. ثم أحبك أنت ..

نزل الأمر على مسامع (نادر) كالصاعقة .. وفتح عينيه من هول الصدمه فى ذهول .. ولم يصدق ما سمعه منها .. بل يا ليته قد فقد سمعه .. قبل أن يسمع هذا الكلام الشنيع منها .. واستدارت هى إليه .. ويا لهول ما رأت .. فقد ألجمته الصاعقة .. والمفاجأة معًا .. فلم يستطع أن ينطق أو يعلق معها بأدنى تعليق .. وترقرق الدمع غزيرًا .. حارقًا .. فى كلتا عينيه .. وأدركت الآن أنها قد ذبحته بسكين باردة .. بل وذبحت نفسها معه .. واستطاع أخيرًا .. أن يستجمع قواه .. وأن يحرك لسانه .. وهو يسألها مكسورًا :

ـ هل لمسك هذا ..

Looloo
www.looloolibrary.com

فقاطعته فى سرعة :

ـ أقسم لك أنه لم يلمسنى ..

وذهب الزوج المخدوع إلى غرفة الأطفال .. وأغلق بابها جيدًا عليه .. ثم انهار على الكرسى المتحرك فى الغرفة .. وساعتها وبدون خجل شرع .. يبكى ..

ويبكى ..

ويبكى ..

وأدرك أنه ما زال وسيظل يعانى .. من غضب والده .. ودعائه عليه .. حتى الموت .. وأن ما حدث له الآن بالتأكيد .. هو نتيجة ذلك ، فها هو أعظم أحلامه .. وجل أمنيته .. ينهار ويسقط أمامه فى قوة .. وشرع يبكى مرة أخرى .. حسرة وقهرة على نفسه ..

شرع ينظر حوله .. ويتخيل البيت الذى تعب كثيرًا .. إلى أن انتهى منه .. وجعله فى أجمل وأبهى صوره .. على ما هو عليه الآن .. ولكنه لم يتسن له الوقت .. حتى ليستمتع به .. فقد قتلته زوجته على الفور .. ولم تصبر عليه أبدًا .. أبدًا ..

وساعتها .. وساعتها فقـط أدرك شـناعة جـرمه .. وفظاعة ما فعله بوالده .. عندما حطم أمنيته .. ووأد حلمه العظيم .. والآن .. والآن فقط .. كم تمنى الذهاب إلى والده .. وأن ينكب على قدميه .. ويدفن نفسه بين أحضانه .. ليسامحه ويصفح عنه .. ولكنه أدرك انه حتى ولو فعل ذلك فليس هناك فائدة من ذلك بحق .. فحتى لو فعل ذلك .. فلن يقبله والده .. ولن يصفح عنه كالعادة بحق ..

أبدًا ..

أبدًا ..

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

13 ـ المـــرض ..

أما هى فقد انهارت فى البكاء .. أكثر منه بكثير .. ولم تدر حتى الآن .. لماذا فعلت ذلك ..؟ وكيف فعلت ذلك بحبيبها وعشيقها .. وزوجها .. وقرة عينيها ؟ اللعنة عليها ألف مرة .. فقد تسببت فى ذبح زوجها .. هكذا بكل سهولة .. على هذا النحو ..

اللعنة على (دعاء) تلك الشيطانة اللعينة .. والتى أشارت عليها .. بتلك الجريمة النكراء .. ولم تتحمل أن تبيت ليلتها هكذا .. دون أن تعتـذر له .. وتجعله يسامحها .. ويصفح عنهـا .. وبالفعل هرولت إليه .. بأقصى سرعة .. فوجدته قد أغلق الباب عليه من الداخل .. فطرقت عليه الباب مرات .. ومرات .. ورفض إجابتها نهائيًا .. وتفتت قلبها .. من شـدة الانهيار .. وعذاب وتأنيب الضمير .. واعتـذرت له .. آلاف المرات .. وأقسمت له بأغلظ الأيمان .. بأنها قد كذبت عليه .. لأنها كانت تخشاه فى هذه الليلة بالذات .. ورغم ذلك رفض إجابتها والرد

عليها .. وحاولت معه .. حتى مطلع الفجـر .. ولأنها تعلم .. بأنه سوف يخرج للصلاة .. فقد انتظرته على باب الغرفة .. وهى تجلس على الأرض .. حتى يخرج للصلاة .. إلا أنه لم يخرج .. ونام هو على السرير فى غرفة الأطفال .. بينما نامت هى فى الصالة .. وهى مازالت ترتدى فستان الزفاف .. وأخيرًا خرج من غرفته .. بعد صلاة الظهر .. ولم تشعر هى به .. آنذاك .. وفى هدوء وعلى أطراف أصابعه قام بالدلوف إلى دورة المياه .. ثم توضأ وعاد إلى غرفته فى هدوء .. ثم صلى صلاة الصبح وكذا صلاة الظهر ..ثم شرع يصلى لله سبحانه كى يرفع عنه هذا البلاء .. وأن يخفف عنه هذا القضاء .. وأن يعينه على الصبر على ما هو فيه .. واستيقظت هى وشرعت تدق عليه الباب مرة أخرى .. وأخيرًا وليس آخرًا قام بالرد عليها .. وتفتت قلبها مرة أخرى .. من شدة العذاب .. عندما تناهى إلى سمعها .. سماع صوته المبحوح الحزين .. من شدة البكاء والنحيب .. فاعتذرت له مرة أخرى .. ومرات .. ومرات .. فـرد عليها بصوت حزين ممزوج بالمرارة

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ كاذبة

فأقسمت له مرة أخرى .. بأنها بالفعل قد كذبت عليه .. ولكن لأنها كانت تخشاه بحق .. سيما وهو يعرف مقدار حبها له منذ أيام الخطوبة .. وطلبت منه الصفح والسماح .. ولكنه رفض منحها إياهما .. ثم سألها بذات لهجته السابقة:

ـ هل تستطيعين إعادة الحياة إلى الجثة بعد ذبحها ؟

ورفض التحدث معها مـرة أخـرى .. حتى حان المساء وحضرت الأسرتان .. وكذا بعض الأقارب والمعارف والأصدقاء .. وتظاهر العروسان بالفرحة .. مؤقتاً على قدر الإمكان .. أمام الناس واستأذن (نادر) والده .. للتحدث معه على انفراد فى غرفة الأطفال .. واعتذر الابن لوالده مرات ومرات .. وقبّل كلتا يديه .. ورأسه .. بل وكاد يقبّل كلتا قدميه .. وأنه يكفى ما عاناه كلاهما .. خلال الفترة الماضية .. من ألم وعذاب وحرمان ومرارة .. ولكن والده رفض منحه هذا الصفح أبدًا .. أبدًا، وسرعان ما عاد كلاهما .. إلى الضيوف .. ولم تذهب (دعاء) إلى الصباحية .. خشية أن تكون (خلود) قد استمعت إلى فكرتها .. بل وقامت بتنفيذها .. ولم تخبر هى أسرتها بما حدث ..

وكذلك فعل هو .. واحتذى حذوها، وبعد أن انصرف الجميع .. قرر (نادر) معاقبتها .. على ما فعلته معه .. فى ليلة العمر .. وذلك بهجرها والبعد عنها .. وعدم التحدث معها .. وأن ينام كل منهما .. فى غرفة منفردة بعيدًا عن الآخر .. ولم يكن يتحدث معها .. إلا فى أضيق الحدود .. ومرت ثلاثة أشهر كاملة .. على زفافهما .. كانت له كالجارية .. ولم يستغل هو ذلك .. بل ولم يسئ إليها قط .. أما هو فقد كان كالعبد لها .. من الداخل .. متنكرًا فى صورة وهيئة سيد البيت .. من الخارج .. ثلاثة أشهر كاملة مرت .. على تلك المعاناة لكلا الزوجين .. وأصابه الملل من تلك المعاناة .. والحزن والمرارة والألم .. وتذكر ما فعله به والده .. وأدرك أنه قد أصبح صورة .. مستنسخة منه .. وهو الذى ما زال يعانى من والده ..

وأخيرًا قرر التمرد على صورة وهيئة والده .. ذات القلب الأسود .. والتى لا تصفح .. وقرر أن يصفح عنها أخيرًا .. واستيقظ هو فى هذا اليوم مبكرًا .. للذهاب إلى عمله كالعادة .. واستيقظ مشتاقاً إليها .. وكم تمنى التهامها .. فى تلك اللحظة .. وهو الذى عاش محرومًا منها .. طوال الثلاثة أشهر الماضية .. وذهب إليها فى غرفة نومهما الأصلية .. حيث كان الباب مفتوحًا

Looloo www.looloolibrary.com

عليها .. كالعادة .. لأنها كانت تخشى النوم بمفردها .. فكانت تفتـح باب الغرفة عليهـا .. وهى نائمة من شدة الخوف .. ونظر إلى تلك الغرفة .. وهـو يقف على عتبـة بابها .. تلك الغرفة التى لم ينـم بها .. ولا ليـلة قـط حتى الآن .. والتى تركها لها عن طيـب خاطـر .. منذ الليلة الأولى منذ زواجهما بحق .. وفى هـدوء شديد .. وعلى أطـراف أصابعه .. نظر إليها وإلى جمال وجهها الوردى وهى لا تزال نائمة كالملاك .. وتفتت قلبه هو فى هـذه المـرة من شـدة الألم .. واعتصر الحزن قلبه عصرًا .. وكم تمنى فى تلك اللحظة .. إيقاظها .. واحتضانها والبكاء على صدرها .. كم اشتاق إليها .. وإلى لمسات يدها الرقيقة الناعمة .. كم تمنى أن يوقظها ليطلب منها هو الصفح .. على سوء وشدة عقابها .. طوال تلك الفترة الماضية .. وأن يذوب فى أحضانها لتعويض ما فاته من هجرها وبعده عنها وسوء معاملتها .. بل لقـد نظر إلى جمـال وبياض جسدها .. ويديها .. وقدميها .. وتمنى أن ينهال عليهما تقبيلاً ، لتصفح عنه بحق .. وليرتوى منها بعد حرمان شديد .. وترقرق الدمع فى عينيه .. عندما تذكر أنها هى التى بدأت كل هذا .. وقاوم رغبته فى تقبيلها .. وقاوم ولكنه لم يستطع فقام بتقبيلها

على شعرها بكل حنان قبلة أودعها كل شوقه .. ولهفته عليها وهيامه وحبه لها .. ورغبته فى الاعتذار لها .. عما حدث ، وانصرف فى هدوء كما حضر .. وقرر أن يعود إليها اليوم .. بعد عودته من العمل .. شخصًا جديدًا .. وأن يتصالحا وأقسم فى نفسه أن يجعل هذا اليوم .. هو أسعد أيامه معها وبحق .. وشعرت هى به وبقبلته .. ومنعها الحياء والخجل من القيام آنذاك .. وانصرف هو فى هدوء إلى حيث عمله .. ونهضت هى من فراشها .. وشرعت تضرب نفسها .. مرات ومرات .. لأنها لم تستغل هذا الموقف .. وتلك اللحظة المرتقبة .. والتى ربما لن تتكرر مرة أخرى أبدًا أبدًا .. اللعنة على (دعاء) هذه التى حطمت ودمرت حياتها هكذا .. وشرعت تعاتب وتحاسب نفسها حساباً شديدًا ..

كيف استمعت إليها؟

كيف أنصتت إليها ؟

كيف نفذت كلامها ؟ كيف .. كيف .. ؟

لماذا فعلت ذلك .. مع زوجهـا وحبيبها وعشيقها .. ما سبب ذلك ؟

Looloo
www.looloolibrary.com

إنها ليست أول امرأة تتزوج .. ولن تكون آخر امرأة تتزوج .. كيف فعلت ذلك ؟

كيف لم تفكر فى عواقب هذا الأمر ؟

وسرعان ما انهارت فى البكاء الشديد ...

سيما وقد أعطاها الله سبحانه الرءوف الرحيم فرصة ذهبية لتعويض ما فعلته بزوجها ولكنها ومع ذلك لم تستغل تلك الفرصة ولم تقم باقتناصها فمن يدرى فربما لن تتكرر هذه الفرصة مرة أخرى .. بحق .. أما هو فقد ذهب لعمله فى غاية السعادة .. والنشاط بحق .. ووصل إلى عمله فى غاية البهجة والنشوة .. بل وعاد إلى طبيعته المرحة .. والتى سلبها منه الزواج بحق .. حيث كان يمازح هذا وذاك .. ويلقى الدعابات كما كان بل ويضحك .. نعم كان يضحك .. فقد اشتاق إلى الضحك بحق .. فهو لم يضحك من قلبه منذ تزوج .. ونظر إليه زملاؤه وأصدقاؤه فى العمل .. باستغراب .. وشرعوا يحسدونه مجاهرة على ذلك .. وحانت صلاة الظهر .. وكعادته ذهب إلى المصلى .. وتوضأ .. وفى أثناء الصلاة .. هاجمه صداع وألم رهيب فى رأسه .. واستطاع استكمال صلاته بصعوبة شديدة ..

بل ولم يستطع .. ولأول مرة فى حياته كلها صلاة سنة الظهر .. كما اعتاد دائمًا .. وعاد إلى مكتبه وحصل على كبسولتين من دواء يحتفظ به دائمًا فى درج مكتبه الخاص به .. ولكن هذا الصداع لم يذهب كالمعتاد .. بل ولم يهدأ قيد أنملة .. كما كان يحدث معه من قبل .. وشعر ولأول مرة فى حياته كلها بغليان فى رأسه .. بل لقد كاد رأسه ينفجر من شدة هذا الصداع الرهيب .. وفجأة اهتزت الرؤية أمام عينيه وتموجت .. وكأنما ألقى ثمة أحد حجرًا فى المياه الراكدة .. وارتعشت كلتا يديه الممسكة برأسه من شدة الألم .. ثم انتقلت هذه الرعشة إلى جسده بالكامل، وتقاطرت الدموع من كلتا عينيه بدون ميعاد .. من شدة الألم .. ثم سقط فاقد الوعى .. وسقط جسده بالكرسى الذى كان يجلس عليه أرضًا .. وانتبه إليه زملاؤه وأصدقاؤه .. وسرعان ما قاموا بحمله .. ثم وضعه على أحد المكاتب الكبيرة .. وأحضرت إحدى الموظفات عطرًا تحمله دائمًا فى حقيبتها .. واتصل أحد الزملاء بالإسعاف .. وهنا قال المدير :

ـ إن المستشفى قريب جدًا من هنا .. فليذهب اثنان منكم معه إلى هناك ..

Looloo
www.looloolibrary.com

فتبرع صديقاه (هيثم) و(بولس) بذلك .. وتعاون الزملاء على حمله إلى خارج البنك ، وقاموا بوضعه فى التاكسى .. وانطلق بهم إلى المستشفى .. وهناك تم الكشف عليه .. بواسطة بعض الأطباء .. واستطاعوا إفاقته من غيبوبته والتى استغرقت حوالى ربع ساعة كاملة .. واستبان للأطباء أن جل شكواه .. تتعلق برأسه ومخه .. فسأله الطبيب (أحمد شكرى) وهو طبيب مخ وأعصاب :

ـ هل تشتكى من صداع رأسك هذا .. منذ فترة طويلة ..؟

فأجابه (نادر) :

ـ منذ حوالى ستة أشهر ..

ثم استدرك قائلاً :

ـ ولكنه زاد معى منذ ما يزيد على حوالى شهر تقريبًا ..

فطلب منه ذلك الطبيب إجراء أشعة مقطعية ملونة على المخ .. وأنه سيكون فى انتظاره لعرضها عليه .. ثم أعطاه رقم هاتفه المحمول .. لربما يحدث ثمـة شىء فيضطر إلى مغـادرة المستشفى .. فسأله (نادر) فى قلق :

ـ هل تشك فى ثمة شىء معين يا دكتور ؟

فأجابه هذا الأخير فى سرعة :

ـ سنعرف ذلك بالتأكيد .. بعد عمل الأشعة ..

وأصر (نادر) علي أن يتركه كلا صديقيه .. وأن يعودا إلى عملهما .. ولم ينصرفا .. إلا بعد أن أقسم عليهما بأغلظ الأيمان لكى ينصرفا .. وحاولا إقناعه بأنه ربما قد يفقد الوعى مرة أخرى .. وأنه قد .. فقاطعهما قائلاً فى إيمانٍ صادق :

ـ مصر كلها بخير والله سبحانه وتعالى سيكون دائمًا بجوارى .. حتى تمر هذه المحنة إن شاء الله سبحانه ..

ثم استطرد قائلاً :

اعتذرا إلى السيد المدير .. فلن أستطيع العودة مرة أخرى إلى البنك .. فسوف أعود إلى بيتى .. واشكراه لى كثيرًا . ثم شكرهما كثيرًا وودعاه وانصرفا ..

وقام هو بإجراء الأشعة المطلوبة .. وحاول معرفة أى شىء من مجرى الأشعة .. ولكن باءت كل محاولاته معه بالفشل .. ورفض هذا الأخير الإفصاح عن أى شىء لديه .. بحجة أنه

Looloo
www.looloolibrary.com

مجرد فنى أشعة .. ولا يعرف ثمة شىء فى هذه الأمور الطبية .. ولكنه فى داخله شعر أن الأمر جد خطير وجلل ..، وسرعان ما اتصل (نادر) بمديره واعتذر له عما حدث .. وأنه ربما قد لا يأتى فى اليوم التالى أيضًا .. وشكره على أخلاقه الجميلة معه .. وكانت هذه هى أول مرة يطلب فيها ذلك الأخير إجازة منذ بداية عمله ..

وانتهت الأشعة .. واتصل (نادر) بالطبيب سالف الذكر .. فأخبره هذا الأخير .. بأنه ينتظره فى المستشفى .. فعاد (نادر) إليه .. بأقصى سرعة .. وشاهد الطبيب الأشعة .. واكفهر وجهه إلى أقصى درجة .. وتحقق ما توقعه (نادر) بأن هناك ثمة شيئًا خطيرًا .. ونظر الطبيب طويلاً إلى هذه الأشعة .. وطأطأ رأسه أرضا .. ولم يحر جوابًا .. يخبر به (نادر) الذى جلس أمامه .. فى خوف ممزوج بالرعب الشديدين .. وكم تمنى هذا الأخير سؤاله .. عما تحويه هذه الأشعة اللعينة ..

* * *

14 ـ المـــريض ..

وأخيرًا .. تغلب هذا الأخير .. على قسوة خوفه ورعبه .. وبصوت مختنق مرتجف .. وقد جف حلقه تمامًا .. وشعر بالظمأ الشديد .. ودون أن يدرى تناول كوب الماء الموضوع أمام الطبيب .. وشرب دون استئذان .. على غير عادته .. ثم سأل الطبيب فى انفعال :

ـ ماذا هناك يا دكتور .. أخبرنى بالله عليك ..

فأجابه الطبيب مصبرًا .. ومهونًا إياه :

ـ فى الحقيقة يا (نادر) لست أدرى ماذا أقول ؟

وهنا أدرك هذا الأخير بأن الأمر جد خطير بحق .. فقال (نادر) بصوت مختنق .. محشرج راجيًا :

ـ أخبرنى بالحقيقة .. أرجوك يا دكتور ..

فقال الطبيب :

ـ أنت تعلم يا (نادر) أنه سبحانه قد اختص بعض عباده المقربين ..

Looloo
www.looloolibrary.com

فقاطعه (نادر) بفظاظة :

ــ باختصار شديد .. يا دكتور ..

بحث هذا الأخير عن أى كلام منمق .. لكى يقوله له .. ولكنه لم يجد .. وبدون لف أو دوران .. وجد نفسه يقول الحقيقة .. فى مرارة .. وهو مطأطأ الرأس :

ــ أنت مصاب بسرطان نادر فى المخ ..

فشهق هذا الأخير .. شهقة خافتة ، دون أن يدرى وبدون أى قصد منه .. ولأول مرة لم يستح مما فعل .. ثم طأطأ رأسه فى استسلام .. وترقرق الدمع فى عينيه .. دونما خجل ، وهو يسأل الطبيب فى ضراعة .. محاولاً البحث عن أى أمل :

ــ هل هناك علاج أو عملية ..؟

ثم أردف قائلاً :

ــ فأنا أمتلك نقودًا كثيرة .. وأستطيع ...

فقاطعه الطبيب قائلاً :

ليس هناك أدنى أمل فى حالتك .. أنت بالذات .. فدارت الدنيا به مرة أخرى .. واهتزت الرؤية أمام عينيه .. وتموجت .. وهو يسأله منتحبًا :

ــ لماذا ؟

فأجابه الطبيب :

كما أخبرتك من قبل .. أنت مصاب بسرطان نادر فى المخ .. ويستقر فى أخطر منطقة فى المخ .. والتدخل الجراحى فى هذه المنطقة بالذات .. ضدك .. وليس لصالحك .. فسأله (نادر) :

وماذا سينتج عن الجراحة ؟

فأجابه الطبيب على الفور وكأنه كان ينتظر هذا السؤال :

الشلل التام .. نضمن استئصاله كاملاً .. فقال (نادر) فى يأس شديد ممزوج بالمرارة :

إذن فإما إجـراء هـذه العملية .. والإصابة بالشلل التـام .. وإما انتظار الموت الرحيم .. فقال الطبيب معتـذرًا : أنا آسـف يا (نادر) .. كنت أتمنى ...

فقاطعه (نادر) فى سرعة :

Looloo
www.looloolibrary.com

هذه العملية .. ألا يمكن إجراؤها فى الخارج ؟

فأجابه الطبيب : أقسم لك .. يا (نادر) .. أن العملية لو كانت ستنجح فى حالتك .. ما ترددت لحظة .. ولكنت أرشدتك .. إلى من يقـوم بإجرائها بنجـاح .. فسأله (نـادر) بذات لهجته اليائسة :

ـ هل هناك أمل فى العلاج الكيماوى ؟

فأجابه الطبيب فى تردد :

ـ لن أستطيع الرد عليك .. أو البت فى هذا الأمر ..

ثم استدرك قائلاً : ولكنى سأعطيك عنوان أستاذى .. الدكتور (إبراهيم عثمان) .. ولحسـن حظك .. فهـو موجود بعيادته اليوم .. فهو أكبر طبيب للأورام .. سأتصل أنا به .. وسأحجز لك عنده .. وأعدك بأنك لن تتأخر فى الدخول .. ثم كتب له العنـوان .. ورقم التليفـون .. وشرع فى إجـراء المكالمة .. أمامه .. ولكنه طلب منه الانصراف .. بمجرد بدء المكالمة الهاتفية بينهما .. وهناك فى عيادة الدكتور (إبراهيم) .. وبعد انتظار حوالى ساعة كاملة أو يزيد .. دخل (نادر) إلى الطبيب الثانى .. وألقى السلام عليه .. وتبادلا التحية .. وسرعان ما

تناول الطبيب الأشعة ، وشرع يفحصها مليًا .. ويإمعان وتركيز شديدين .. وسكت (نادر) .. وصمت فى استسلام .. وانتظر .. وانتظر مثـل المتهم فى القفـص .. والذى يعلم بأنه مذنب .. ولا ينتظر سوى إصدار الحكم عليه .. وأخيرًا تحدث الطبيب قائلاً : بداءة أعتقد أن الدكتور (أحمد) .. قد أفهمك نوعاً ما .. طبيعة مرضك .. فسأله (نادر) فى رجاء :

ـ هل هناك ثمة أمل .. يا دكتور ؟

فأجابه الطبيب على الفـور : لا تقنط مـن رحمتـه سبحانه يا ولدى .. ثم استطرد قائلاً :

المهم الآن ممنوع الركوع .. والسجود فى الصلاة .. وكذلك كثرة التفكير .. والعمليات الحسابية المعقدة .. فهذا أخطر عليك جدًا .. من الركوع والسجود فى الصلاة .. وكذلك المنبهات بجميع أنواعها .. مثل الشاى والقهوة .. والتدخين وخلافه ، أما بالنسبة للعلاج الكيماوى .. فللأسف الشديد .. فإن ضرره فى الوقت الحاضر .. أكثر من نفعه .. نظرًا لأن السرطان .. يستقر فى منطقة حساسة جدًا .. وداخلية بالمخ .. المهم الراحة التامة خلال الفترة المقبلة .. وسأكتب لك .. على بعض الأدوية .. والمسكنات والفيتامينات ..

Looloo
www.looloolibrary.com

فقاطعه (نادر) : إلى متى ؟

فسأله الطبيب .. وكأنه لم يفهم السؤال :

ـ إلى متى .. ماذا يا ولدى ؟

فسأله (نادر) مرة أخرى بصيغة أخرى :

ـ ما هى الفترة التى من المنتظر أن أعيشها يا دكتور؟

فأجابه الطبيب بصدق : الموت بيده سبحانه وحده يا ولدى .. ولا يعلم ميعاد الموت إلا هو سبحانه ..

فقال (نادر) : هذه ليست إجابة سؤالى ..

فأطرق الطبيب برأسه أرضًا ثم قال وقد اتكأ بظهره :

ـ أحـد المرضى بالسرطان .. ذهب إلى أحـد الأطباء المتخصصين .. زميل لنا فى هذه المهنة .. وسأله المريض نفس سؤالك .. ولم يكن هذا المريض بخطورة حالتك .. فأجابه الطبيب ببساطة أن أمامه سنة على أقصى تقدير ، وبالطبع فقد جامله هذا الطبيب كثيرًا فى ذلك ، لإعطائه الأمل فى الحياة .. ثم مات هذا الطبيب بعد شهر تقريبًا من قوله هذا .. ولم يكن به ثمة شىء .. أو مرض يذكر .. بل كان هذا الطبيب .. مثل الفهد

فى صحته وقوته .. بينما عاش هذا المريض حوالى ثلاث سنوات أو أكثر .. ثم أردف الطبيب قائلاً :

ـ الأعمار بيده وحده سبحانه يا ولدى .. وهو وحده يملك تحديدها .. ومواعيدها وقبضها ..

ثم استطرد باسمًا : وقد أموت قبلك مثل زميلى ..

فسأله (نادر) بنفاد صبر :

ـ ما هى الفترة ـ علميًا ـ المتوقع أن أعيشها .. يا دكتور ؟

فأجابه الطبيب :

ـ إذن فأنت تصر على ذلـك .. عامة الفترة التى سأخبرك بها .. هى فترة مفترضة .. تذكر هى فترة مفترضة .. قد تطول ..

فاستكمل (نادر) حديثه : وقد تقصر ..

فقال الطبيب :

ـ حوالى شـهور .. ليس بإمكانى .. حصرها .. أو عدها .. أو تحديدها .. ولا تطلب منى أكثر من هذا يا ولدى .. فكما قلت لك .. الأعمار بيده وحده سبحانه يا ولدى ..

Looloo
www.looloolibrary.com

وهنا سأله (نادر) : ماذا سيحدث لو ركعت أم سجدت .. وعملى فى البنك كيف سأتركه ؟

فأجابه الطبيب : فى حالة الركوع والسجود .. والعمليات الحسابية المعقدة .. ستثير هذا السرطان الراقد فى أعماق مخك .. وسيستفزه .. فتزيد عليك الآلام بدرجة لا تطاق .. ولا يوجد ثمة مسكن لها .. وتذكر أنه بمرور الوقت ستزيد هذه الآلام .. لذلك فمن الأفضل .. تجنب كل ما يؤدى إليها ..

ومن الآن فصاعدًا فعليك أن تصلى جالسًا .. ويفضل أن تكون جالسًا على أحد الكراسى .. ثم أردف كلامه : فأنت الآن مريض .. ولديك عذر قوى ..

فقال (نادر) وقد اغتصب ابتسامة على شفتيه :

ــ ليس على المريض حرج .. يا دكتور ..

فقال الطبيب : إلا فى حالتك يا (نادر) .. وهذه الفتوى أنا مسئول عنها تمامًا .. أمام الله سبحانه .. يوم القيامة ..

وأعطاه الطبيب رقمه .. ثم قال له :

ــ هذا رقمى .. اتصل بى فى أى وقت تشاء ..

ثم استدرك قائلاً : ولكن أرجوك .. أنا لا أعطى رقمى إلى أى أحد .. فلا تعطه بدورك إلى أى أحد ..

ثم دق الجرس .. وسرعان ما دخل الممرض .. فأمر الطبيب بإعطاء (نادر) ثمن الكشف .. فسأله (نادر) :

ــ ولماذا هذا يا دكتور؟

فأجابه الطبيب : أنا لم أفعل شيئًا .. سوى مشاهدة هذه الأشعة .. وإعطائك بعض النصائح ..

وودع كل منهما الآخر .. وانصرف (نادر) فى سلام .. وذلك بعد أن استحصل منه على بعض المسكنات .. ووصاه أن يتناولها بانتظام .. وسأله الطبيب قبل خروجه :

ــ هل أنت متزوج ؟

فأومأ (نادر) برأسه دلالة على الموافقة .. فنصحه الطبيب أن ينتظم مع زوجته ، ولو مرة واحدة فى الأسبوع .. لأن الإجهاد خطر عليه .. وخرج (نادر) من العيادة .. وقد شعر بأن السرطان قد انتقل .. إلى فخذيه .. وقدميه بحق .. فقد عجزت كلتا قدميه .. عن حمله .. وعلى الرغم من أن الشمس

Looloo
www.looloolibrary.com

كانت .. تنير بأشعتها الذهبية .. كل أرجاء المكان من حوله .. إلا أنه كان يشعر بأن يسير فى ظلام حالك .. بل حتى أنه كان يسير بلا هدى .. وحاول أن يمشى .. وحاول .. وذلك بعد أن نزل من العيادة .. وأصبح فى الشارع .. وعندما لم يستطع .. ولم يقدر .. جلس بلا خجل على الرصيف .. ودون أن يعير الناس .. أو نظافة ملابسه أدنى اهتمام .. وكم تمنى أن يكون بجواره الآن .. أى شخص كان زميل .. صديق .. أو أى أحد من أفراد أسرته أمه الحبيبة .. شقيقه .. والده إنه والده .. وغضب والده .. ولعنات والده عليه .. والتى تلاحقه فى كل مكان .. حتى استقرت فى رأسه وحرمته من عمله .. بل ومن زوجته الحبيبة أيضًا .. وحان الوقت الآن .. بكل قوة .. وبلا خجل .. الحصول على رضا والده .. قبل موته .. نعم قبل أن يموت ..

إن الطبيب استحى أن يقولها صراحة .. بأن أيامه فى هذه الدنيا .. أصبحت معدودة بحق .. وإلا فلماذا أعطاه رقمه ؟ على الرغم من أنه لا يعطيه لثمة أحد .. فهذا إن دل على شىء فليس له معنى .. بأن ذلك التصرف .. من الطبيب دلالة على اقتراب موته .. وأن وجود هذا الرقم مع شخص ميت مثله .. لن يؤذيه

فى شىء .. لقد أصبح اسمًا على مسمى .. اسمه (نادر) .. ومصاب بمرض (نادر) .. والآن يجب أن يفعل المستحيل .. للحصول على رضا والده .. بأى ثمن .. وكذلك رضا أمه الحبيبة عليه .. كم تمنى أن يرتمى .. ويرتوى من أحضانها الآن .. كم تمنى أن يجلس تحت قدميها الآن .. ويبكى تحتهما .. فالجنة تحت أقدام الأمهات .. ولا يجب أن يخسر الدنيا والآخرة .. إنه راض بقضاء الله وقدره .. وهنالك دعاه فى إخلاص شديد .. بأن يعينه على رضا والده .. زوجته ماذا سيفعل مع حبيبته ؟ ماذا سيفعل مع هذا الملاك البرىء ؟ أيتقرب منها الآن ؟ وعندما يموت .. أيترك لها طفلاً بعد موته .. تتعذب به فى هذه الدنيا .. ألا يكفى أنها ستصبح أرملة .. أيضيف إليها وهى أرملة .. طفلاً .. تصطلى بناره .. كلا .. كلا .. لن يفعل بها ذلك .. لن يؤذيها يجب أن يقوم بالتضحية من أجلها .. يجب ألا يتسبب فى حزنها وشقائها بعد موته .. فيكفى جراحها .. وحزنها .. وعلى الرغم من أنه كان يحتاج إليها فى أواخر أيامه .. كان يحتاج إلى حبها .. وحنانها وجمالها .. كى يستمد منها القدرة والصمود والمواجهة .. كان يحتاج فى أواخر أيامه .. أكثر ما يحتاج إلى العطف .. والشفقة .. والإحسان .. إلى الانتناس بها فى وحشة المرض ..

Looloo
www.looloolibrary.com

كان يحتاج منها .. فى هذه الأيام الأخيرة .. إلى السعادة والبهجة والمودة والمشاركة .. كان يتمنى أن يهنأ معها .. ولو يومًا واحد فى العمر .. وهو الذى عاش طوال خمس سنوات كاملة أو يزيد فى عذاب شديد .. وذل وحرمان .. وقسوة من والده .. حتى زوجته فلم يهنأ معها إلا فى أيام الخطوبة فقط .. واليوم .. اليوم بالذات يصيبه ما أصابه .. وقد قرر العودة إلى زوجته الحبيبة .. ولكن هذا قدره .. (إنا لله وإنا إليه راجعون) .. وبكى كثيرًا .. وكثيرًا .. وكثيرًا آنذاك ..

وفى أثناء عودته إلى بيته .. قرر الذهاب إلى والديه أولاً .. وطرق الباب وفتحت له أمه الحبيبة .. فارتمى فى أحضانها .. وشرع يحتضنها فى قوة .. وكم تمنى أن يحكى لها شكواه .. آلامه وأوجاعه .. ولكنه تماسك بكل قوة .. ثم قال لها فى صدق :

ــ لقد اشتقت إليك كثيرًا جدًا .. جدًا يا أمى ..

وكم تمنى أن يبكى وينهار فى أحضانها الدافئة .. ولكنه كتم دموعه وكبحها بقوة .. وعندما طال احتضانه لها .. قالت هى مبتسمة :

ــ ما كل هذه الأشواق ؟ ادخر بعضها لزوجتك الحبيبة ..

ثم أبعدته عنها فى رفق .. وكم تمنى أن يصرخ لها : أريد أن أشبع منك قبل موتى ، ولكنه كتم صرخته .. ونظرت إلى وجهه مليًا .. ثم سألته :

ــ ماذا بك يا ولدى ؟

فأجابها فى سرعة دون أن ينظر فى عينيها :

ــ بعض الإنهاك فى العمل ..

ثم اتجه على الفور إلى غرفة والده .. وانكب على قدمى والده الجالس على مكتبه يعمل .. وشرع يقبّل قدمى والده وهو يقول متوسلاً باكيًا :

ــ أرجوك أتوسل إليك اصفح عنى يا أبى ..

ولكن والده أبعد قدميه بسرعة .. ثم قال فى قسوة : اذهب الآن يا نادر .

فقال له هذا الأخير باكيًا .. وهو ما زال جاثياً على ركبتيه :

ــ الحياة ليست مضمونة يا أبى .. والموت يأتى فجأة .. أرجوك امنحنى رضاك وصفحك .. وعفوك ..

Looloo
www.looloolibrary.com

فقالت سمية فى غضب وقد ترقرق الدمع فى كلتا عينيها :

ــ حرام عليك يا محمود ..

فصرخ فيهما هذا الأخير قائلاً : قلت لكما اخرجا من هنا .. هيا .

* * *

عاد (نادر) إلى بيته وهو محطم نفسيًا .. وهــو ما زال يحتضن أشعته بقوة .. ويحاول تخبئتها عن الجميع .. حتى لا يكتشف ثمة أحد سره .. وكأنما من سيفتحها سيفهم ما بها .. وكانت زوجته تنتظره فى شوق ولهفة .. أو بمعنى أدق على أحر من الجمر .. وتهيأت له وتزينت .. وكانت تعتقد أنه سيأتى متلهفًا عليها أيضًا مثلها .. ولكنه تعامل معها بكل برود وجفاء شديدين .. فسألته هى فى حنان :

ــ لقد تأخرت اليوم عن ميعادك ، هل حدث ثمة شىء ؟

فقال لها فى هدوء وقد تجاهل سؤالها :

ــ قومى بتحضير الطعام ..

ثم انصرف إلى غرفته فى هدوء لتغيير ملابسه .. وقام بتخبئة الأشعة فوق الدولاب .. وتناولا الطعام سويًا .. وهو يتحاشى النظر إليها .. خشية أن تفضحه عيناه .. ودون أن يتبادل معها كلمة واحدة .. وتمنت هى أن يتحدث معها .. وبحثت هى عن أى موضوع تتحدث فيه .. ولكن شيطانها وسوس لها : لماذا تتحدثين مع شخص لا يبغى حتى مجرد النظرْ إليكِ ..

وترقرق الدمــع فى عينيها .. وهى تســأله فى غضــب :

ــ إلى متى ؟

فأخرجته من شروده .. وهو يسألها : ماذا ؟

فسألته مرة أخرى وقــد احتــد صوتها : إلى متى ستعاملنى هكذا ؟

وانهارت فى البكاء .. وكم تمنى احتضانها .. واحتواءها .. كم اشتاق إليها .. ولكنه أمسك نفسه .. ولم يتحمل أكثر من ذلك ..

Looloo
www.looloolibrary.com

فشعر بغصة كبيرة .. مؤلمة .. مريرة .. وحائل يمنع نزول الطعام إلى معدته .. فاتجه إلى المطبخ .. وأمسك كيساً وأفرغ ما فى معدته فيه .. وذلك حتى لا تصـاب زوجته بالاشمئزاز من رؤيته .. ومسح دموعه وهـو يدعوه سبحانه .. بأن يعطيه القـدرة على الصبر والصمود .. فى مواجهـة هـذا المرض اللعين .. ثم اتجه إلى غرفته مباشرة .. وشرع يفكر فى عمله .. الذى حارب والده من أجله .. عمله فى البنك .. الذى بسببه .. قاسى الأهوال مـن أجله .. والعـذاب والحرمان والغضب .. واللعنات من والده .. عمله الذى يحبه .. أكثـر من أى شىء آخر .. فحتى عمله .. قد خسر .. لقد خسر كل شىء .. ولم يتبق له ثمة شىء .. والده .. ثم زوجته .. والآن عمله .. وفى الآخر ربما يدخل إلى الجحيم بسبب والده ، وفى المساء حضر والداها .. ثم حضرت والدته بدون اتفاق مسبق .. وبالطبع فوالده لم يزره منذ الصباحية .. وعلى الرغم من أن الوالدتين قد حضرتا خصيصًا .. فى هذا اليوم .. لأن كلتيهما قد شعرت بأن الأمور ليست على ما يرام فيما بينهما .. وانتظرتا أن يفصح

ولداهما بأى شىء .. دونما فائدة .. عجيب هو قلب الأم .. الذى يدرك .. ويشعر ويفطن إلى ما يحدث .. وكأنما يحمل جهاز إنذار ربانى .. المهم أنه من نظرة واحدة .. أدركت الأمهات بأن هناك شيئًا جللاً فيما بين الزوجين .. وأخذت (نادية) نجلتها .. على انفراد .. وانهارت هذه الأخيرة فى أحضانها .. وسرعان ما أخبرتها بكل شىء .. أما (سمية) فقد استأذنت من الأستاذ (محمد) .. وتحدثت مع نجلها على انفراد .. ولكنه استطاع التماسك .. ولم تتحصل منه على ثمة شىء .. بل وأنكر كل شىء .. فى براءة .. ورفض الإفصاح عن أى شىء .. رغم ما كان يبدو فى عينيه ..

وأخبرت (نادية) زوجها بكل شىء .. وهنا خرج (محمد) من الغرفة .. وهو يعرف أن نجلته قد أخطأت .. وتستحق العقاب على ما بدر منها .. ولكن ليس إلى هذه الدرجة .. وحكى (محمد) لـ (سمية) أمام الجميع كل شىء .. وكأنما أراد سبحانه .. ألا تمشى من بيت نجلها .. قبل أن تعرف كل شىء ..

Looloo
www.looloolibrary.com

وحاول الجميع رأب الصدع .. والإصلاح بين الزوجين .. بشتى الطرق .. ولكن (نادر) أدرك بأن المعركة قد بدأت مبكرًا .. ولابد مـن المواجهة .، وأن هـذه الفرصـة لن تأتى له مرة أخرى .. فقال هذا الأخير فى عناد ممزوج بالاستعلاء :

ـ ولكن قلبى يحتاج إلى فترة أطول .. لكى يستطيع الصفح والغفران ..

فحاول الأب معه المستحيل .. لكى يوفق فيما بينهما .. ويثنيه عن رأيه .. بلا فائدة .. ورفض (نادر) .. وأبى بكل عناد .. وصـلف .. وصلابة ، وهنـا قـال الأب بعـد أن فقد الأمل فى (نادر) :

ـ هـكذا .. إذن ابنتى عنـدى ، حتى يستطيع قلبـك .. النسيان .. والغفران .. وابنتى لن تعيش معك أبدًا فى هذا الذل والهوان ..

وفى دقائق كانت (خلود) قد لملمت ملابسها .. بمساعدة والدتها .. ثم انصرفت هذه الأخيرة مع والديها فى سرعة ..

وذلك على الرغم من توسلات (سمية) آنذاك .. وبعد انصرافهم نظرت الأم إلى نجلها وسألته فى تأثر :

ـ لماذا فعلت ذلك يا ولدى ؟

وكان ما حدث أكبـر .. وأقوى من أن يحتمل أكثر من ذلك .. فجرى إلى أحضانها كالطفل الصغير .. وانهار بكل خجل وشرع يبكى .. ويبكى .. ويبكى .. فسألته باكية مرة أخرى :

ـ لماذا فعلت هذا إذن ما دمت تعشقها كل هذا العشق ؟

لم يرد عليها .. ولم تدرك هى السبب الحقيقى .. لتضحيته الكبيرة من أجل من يحب .. ولقد شكره سبحانه أن هذا قد حدث .. حتى لا تعانى معه فى مرضه .. وانصرفت الأم .. فى حزن ممزوج باللوعة .. وهى تشعر بأن نجلها .. يخفى عنها سر خطير .. ولكنه يرفض الإفصاح عنـه .. وحاولت معـه ولكنه رفض أيضًا .. وشرع (نادر) يعود إلى عمله .. ليتخلص من وحشة الوحدة .. والحزن والقهر والمرض ..

Looloo
www.looloolibrary.com

وبمرور الوقت بدأت آلامه ومعاناته تزيد .. أما الأب فقد أحضر (دعاء) وضربها .. وعرف أن كل هذا من ترتيب (سمير) ، ابن عمها ومع ذلك فلم يذهب إليه هذه المرة .. ودعا الله سبحانه المنتقم الجبار .. لكى ينتقم منه .. وبعد حوالى شهرين من خروج (خلود) من البيت .. ذهب الأب إلى (نادر) .. وتحدث معه باللين والهدوء والصبر والسكينة .. وذلك لإعادة المياه إلى مجاريها .. ولم الشمل مرة أخرى .. وفكر (نادر) آنذاك يجب أن تبقى (خلود) على ذمته .. حتى تستفيد من معاشه فيما بعد .. كما أن سوق الأرملة فى الزواج .. أفضل بكثير من سوق المطلقة .. وعندما سأله الأب :

ـ ماذا قررت يا ولدى ؟

أجابه (نادر) باسمًا :

ـ أحتاج إلى فترة أخرى يا عمى ..

فقال الأب : أهذا هو آخر كلامك ..

فأجابه (نادر) :

ـ ثلاثة أشهر .. أو أربعة على الأكثر ..

فقال الأب : ولكنى لن أصبر .. حتى تتعطف وتحن عليها بصفحك الكريم ..

ثم استطرد فى غضب : الطلاق هو الحل ..

فقال (نادر) باسمًا : حرام عليك يا عمى .. إن أبغض الحلال عند الله الطلاق ..

وهنا وقف الأب فى غضب : على العموم لك كبير .. هو الذى سيحل هذا الخلاف فيما بيننا .. وانصرف غاضبًا .. كالعاصفة ..

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

15 ـ لا تصـــفح ..

ومرت الأيام .. وكم اشتاق (نادر) إلى زوجته .. وحبيبته ومعشوقته .. (خلـود) .. كم اشـتاق إلى وجهها الباسم الصبوح .. كم تمنى أن يتصل بها ليسمع مجرد صوتها .. فى الفترة الصباحية والتى يعمل فيها والدها .. فى المدرسة .. ولكن ماذا سيقول لها .. بعد أن فعل بها ما فعل .. وسرعان ما ذهب الأستاذ (محمد) إلى المستشار (محمود) وأخبره بكل شىء .. وكان الأب لديه فكرة عن الموضوع من (سمية)، ووعده محمود بالتدخل ومحاولة الصلح إن أمكن .. أو حل الموضوع بمشيئته سبحانه .. وطلب هذا الأخير من (سمية) الاتصال بنجلها .. وإحضاره على وجه السرعة .. وذهب (نادر) إلى والده فى المساء .. وطلب منه والده .. باختصار شديد .. وهو ما زال يتحاشى النظر إلى نجله .. طلاقها .. حتى لا يظلم بنات الناس معه .. وكفى ما جرى فيما بينهما حتى الآن .. وكانت

هذه هى أول مرة يتحدث كلا منهما مع الآخر .. أو بمعنى أدق كانت هذه هى أول مرة .. يتحدث فيها والده معه .. منذ سنوات طويلة .. ومنذ أن فعل ما فعل .. فقال الابن لوالده فى اختصار شديد أيضًا : رد عليه يا أبى وأخبره .. إذا كان يريد الطلاق فإن (نادر) يستأذنك .. أن تنتظر ستة أشهر فقط .. أو أقل .. فسأله والده بنفاد صبر :

ـ ولماذا ستة أشهر بالتحديد .. ؟

فأجابه الابن : ستعلم فيما بعد يا أبى ..

فاحتد عليه والده وهو يقول : وإذا مرت الستة أشهر .. فأجابه الابن أعدك بعد ذلك بأنه سوف يتم الطلاق .. فصرخ فيه والده وهو يقول : أتريدنى أن أتصل عليه وأخبره بأن نجلى .. يقول لك .. انتظر ستة أشهرعلى الطلاق هكذا .. من أجل ماذا ؟

وهنا تدخلت (سمية) قائلة فى غضـب : حـرام عليك .. يا (نادر) .. إن زوجتك كالملائكة .. ولن تعوضها .. ولن تجد

Looloo
www.looloolibrary.com

مثلها بحق فى يوم من الأيام .. ثم أردفت وقد ترقرق الدمع فى عينيها :

ـ اتق الله سبحانه .. يا ولدى .. وكفى افتراء حتى الآن .. فأنت خير من يعلمها .. ويعلم عفتها وشرفها ..

فقال (نادر) فى غضب :

ـ لقد أخبرتكم بردى .. سلام عليكم ..

ثم انصرف كالعاصفة .. وغضب والده منه .. غضبًا شديدًا .. ولكن ماذا سيفعل له .. فماذا فعل له من قبل .. وزاد سخطه على نجله .. وبعد أيام .. اتصلت (نادية) (بسمية) .. تسألها عن آخر الأخبار .. فردت الثانية على الأولى .. بأنهم يحاولون معه .. وأنهم لا يريدون منهم إلا الصبر .. حتى يقضى الله أمرًا كان مفعولاً .. ولم تستطع (سمية) بأن تجيبها بأكثر من ذلك ..

* * *

بعد أيام أخرى اتصل (محمد) بـ (محمود) فأخبر الثانى .. الأول رد نجله .. فقال (محمد) :

ـ أخبر صاحبة الشأن بذلك ..

وتحدثت (خلود) مع والد زوجها .. والذى أخبرها .. والخجل يقطر من كلماته .. برد نجله .. ولأنها كانت ما زالت تأمل فى زوجها .. قررت الانتظار .. عسى الله المقتدر سبحانه .. أن يهديه ويعود إليها يومًا ما .. ومرت الأيام بطيئة ثقيلة على الجميع .. هى تنتظر زوجها .. وهو ينتظر الموت الرحيم .. وكانت آلام (نادر) كل يوم .. فى ازدياد .. وكذا معاناته .. وعذابه من وقت لآخر .. وبدأ يذهب إلى المستشفى .. بمفرده فى صمت وهدوء .. وبدون إزعاج لأى أحد .. ودون أن يشعر به أى أحد .. وكان هذا بعد حوالى شهرين من اتصال (محمود) بخلود .. وعندما شعر (نادر) بدنو أجله .. وأنه يحتضر بحق .. قام بالاتصال (بخلود) لسماع صوتها للمرة الأخيرة .. ولتوديعها .. وذلك دون أن يتحدث معها بأى كلمة .. وسرعان ما ذهب (نادر) إلى حيث بيت والده .. وطرق الباب .. فى

Looloo www.looloolibrary.com

هدوء وهو لا يقدر على رفع أى من يديه عن رأسه .. من شدة الآلام .. والتى كانت تقرع فى رأســه كالطبول .. وفشلت المسكنات معه .. فى قتل تلك الآلام .. أو حتى تهدئتها .. وفتحت الأم له الباب وارتمى فى أحضانها .. يرتوى منها ولتوديعها .. فى آخــر لحظــات حياته .. وارتجــف قلبها .. من شدة شحوب وجهه وشفتيه .. والعــرق الغزير الذى يملأ كل خلايا وجهه .. بل يكاد يغرق وجهه .. بحق .. وسألته فى لوعة :

ــ ماذا بك يا ولدى ؟؟

فأجابها فى همس متألم .. وهو يلتقط أنفاسه بصعوبة :

ــ أنا مريض بالسرطان يا .. أمى

ثم أردف باكيًا رغمًا عنه من شدة الألم :

ــ شعرت بدنو أجلى .. وأننى سأموت .. فحضرت إليكم لتوديعكم .. ولأموت بين أيديكم .. هنا ..

ولم يصدق قلب الأم .. أدنى شىء مما سمعت .. ولا أذنيها وسرعان ما تركها .. وهو يسألها فى لوعة :

ــ أين أبى ؟

كان يشعر فى تلك اللحظة .. بآلاف القنابل فى رأسه وبآلام لا حصر لها .. ولكنه تحامل على نفسه .. حتى يتحصل على رضا والده .. فى لحظاته الأخيــرة .. حتى لا يخسر الدنيا والآخرة، وبالطبع كانت أمه تسنده آنذاك .. وفتحت هى الباب وهو يترنح .. ويكاد لا يرى ثمــة شىء .. من شدة الألم .. واقترب من والده .. وجثا على ركبتيه بجواره للمرة الأخيرة .. وسط نحيب أمه .. ودموعها .. فى مرارة .. وقد أدركت الآن .. والآن فقط .. لماذا فعل نجلها كل ما فعل .. من قبل ؟ ولماذا كان يتأخر عن زيارتها فى الشهرين الأخيرين .. على غير عادته .. وقال (نادر) فى صوت واهن .. ضعيف .. وهو مازال يضع كلتا يديه على رأسه : أرجوك يا أبى .. أتوسل إليك ..

ثم أردف وكلتا شفتيه ترتجفان من شدة الألم :

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ إننى مصاب بالسرطان ..

ثم انتحب وانفجرت الدموع مـن كلتا عينيـه بلا حساب أو خجل .. ثم أردف قائلاً :

ـ اصفح عنى قبل موتى ، ارحمنى أرجوك .. من عذاب الآخرة .. ألم يكفك كل هذا الهجر .. وكل هذا البعد .. وكل هذا الخصام المبين .. طوال كل هذه السنين ؟!

ولم يحتمل قلب الأم أكثر من هذا .. فجثت على ركبتيها .. وارتمت هى فى أحضانه .. وشرعت تبكى .. وتبكى .. وتبكى .. فى انهيار شديد .. وقـد شعرت بأن نجلها يحتضر بحق .. وأنه يموت الآن بالفعل .. وشرعت تحتضنه وتحتضنه لتودعه .. ولأن قلب الأب .. قد تغلف طوال كل هذه السنين الماضية .. بالغضـب والكراهيـة .. فقـد شعر بأن نجله .. وكأنه يقوم بالتمثيل عليه .. فقد أعمته الكراهية لدرجة .. أنه لم ير الحقيقة .. فلم يلتفت إلى نجله .. الجاثى على الأرض بجـواره .. واكتفى

بقوله المعتاد .. وكأنه إنسان آلى .. لا يقول غير تلك الجملة فقط :

ـ اذهب الآن يا (نادر) .

وسمع (نادر) هذه العبارة المتكررة المعتادة .. وآلمته هذه العباره بشدة .. وآلمته أكثر من آلام رأسه ، فوالده لم يشعر بآلامه .. ولم يشعر بمرضه .. لم يصدق كلامه .. حتى وهو يحتضر تحت قدميه .. ولكن كلا .. إنه على شفا الموت .. ويجب أن يحصل على رضاه .. بأى ثمن .. وعلى الرغم من أنه ممنوع من ذلك .. فقد فعلها .. وهو فى النزع الأخير .. فقد انكب على قدمى والده للمرة الأخيرة ليقبلها .. وهو يقول باكيًا :

ـ أرجوك .. اصفح عنى يا أبى .. قبل موتى ..

وانفجرت رأسه من فرط الآلام .. عنـدما مال برأسه على قدمى والده .. ومع ذلك فلم يهتم بذلك .. بقدر ما كان يحرص على أن يسترضى والده .. فى لحظاته الأخيرة ..

Looloo
www.looloolibrary.com

وأبعـد الأب قدميه كالمعتاد عـن متنـاول نجله .. وفى تلك الأثناء .. ارتطمت إحدى قدميه برأس (نادر) .. بدون قصد من والده .. فجاءت هذه الضربة .. وكأنها ألف ألف مطرقة فى رأسه .. وشرعت الدموع .. تفر وتقفز من كلتا عينيه .. وكأنها تهرب من الجحيم بعينه .. واسودت الدنيا أمام عينيه من شدة الألم .. ولم تستطع الأم النطق .. من شدة البكاء .. واشتعلت النيران فى رأسه .. وزاد لهيبها .. كالنيران المستعرة .. ولم يصطلِ بها .. إلا هو .. وبصوت واهن .. ضعيف .. قال (نادر) :

ـ أمى ..

فضمته إليها .. واستند للمرة الأخيرة عليها .. وارتمى فى أحضانها .. تحت قدمى والده .. ثم قال هامسًا فى أذنيها من شدة الألم :

ـ اشهدى يا أمى .. أننى لم أقصر .. حتى الموت ..

ثم أردف فى حنان بذات لهجته الهامسة :

ـ الحمد لله أننى سأموت فى أحضانك يا أمى ..

ثم نطق الشهادتين ثم فاضت روحه .. وارتخت أطرافه فى أحضانها .. وأدركت الأم .. أنه قد مات بين يديها الآن بحق .. سيما وقد ثقل جسده .

وساعتها .. وساعتها فقط ..

صرخت الأم ..

وصرخت ..

وصرخت ...

بكل ما يعتمل فى نفسها .. من حب وحنان .. ولوعة الدنيا على نجلها .. ابنى (نادر) وشرعت .. تبكى .. وتبكى .. وتبكى .. فى أحضانه .. .. وهى تعتصره بين ذراعيها عصرًا ..

وهنا .. وهنـا فقـط .. نهض الأب .. مـن على مكتبـه .. وقد شعر بصدق زوجته .. وأنها لن تكذب .. أو تدعى الكذب آنذاك ..

Looloo
www.looloolibrary.com

ونظر إلى جثة نجله المسجاة على الأرض .. ولم يشاهد وجه نجله .. المدفون فى أحضان أمه الثكلى .. وسار فى خطوات بطيئة .. ثقيلة .. نحـو جثـة نجله .. وهو غير مصدق حتى الآن .. أن نجله قد مات بحق .. بينما كانت الأم تقبل نجلها فى وجهه ويديه بجنون .. وطفق يجتر ذكرياته مع نجله منذ البداية .. وما اقترفه نجله فى حقـه .. وماقترفه هـو فى حق نجله .. وضربه .. وإهانته .. وهجره .. ومقاطعته .. حتى الموت حتى وهو يحتضر .. واعتذار نجله له مرات .. ومرات ، والذى لم يألُ جهدًا نحـوه .. لمصالحته .. واسترضائه حتى المـوت .. وها هو يحتضر .. ويموت .. تحت قدميه .. وقد جاء إليه وقد هرع اليه وحده فى لحظاته الأخيرة .. يستعطفه ويستجديه .. ويطلب الصفح ليكون رضاه هو باب العبور .. من هذه الدار إلى الجنة لا إلى النار ..

واستفاقت الأم أخيرًا .. من صدمتها .. حزنها ولوعتها .. وصرخت فيه بجنون :

ـ أنت الذى قتلته .. قتلته .. قتلته ..

ثم استطردت وهى تنتحب :

ـ قتلتـه بغرورك .. وصلفك .. وقسـوتك .. وجفائك .. واستكبارك .. وعنادك على ولدى ..

وصرخت وهى تقول :

ـ ابنـك مات ... مات .. مات وهـو عند الله سبحانه أفضل منك .. ألف مرة ..

وشرعت تبكى وتبكى وتبكى فى حسرة ، وأخيرًا ترقرق الدمع فى عينى الأب .. وحاول إزاحتها جانبًا .. ليحتضن نجله .. ويودعه الوداع الأخير .. ولكنها أبت .. ورفضت .. وتمسكت بجثته ورأسه أكثر .. وأكثر ، وهنا قال الأب باكيًا :

ـ لقد جنتنى كثيرًا .. كثيرًا .. تطلب الصفح منى يا ولدى .. وأنا رفضت .. وقسوت عليك .. أكثر مما يجب .. وشرعت تقبل قدمى .. كثيرًا لأعفو عنك ..

Looloo
www.looloolibrary.com

وارتجف صوت الأب وهو يقول : وأنا أيضًا رفضت .

وأردف الأب قائلاً : أما الآن : فأنا الذى أرجوك لكى تعفو .. وتصفح عنى .. ثم مال الأب على قدمى ولده يقبلها .. بدون تكبر .. وهنا أفسحت له الأم مكانًا .. وتركته يحتضن ولده فى حنان ..

ثم قال الأب .. وهو يقبل رأس ولده :

لقد حرمتك كثيرًا .. كثيرًا يا ولدى .. وصرخ قلبه .. واستجاب له لسانه .. وهو يقول:

ـ والآن أرجوك .. أن تعفو .. وتصفح عنى ..

ثم استطرد الأب قائلاً :

أتدرى يا ولدى .. أنا الذى لا أستحق صفحك .. وعفوك .. لا تصفح عنى يا ولدى .. لا تصفح عنى يا حبيبى ..

وشرع الأبوان يبكيان .. ويبكيان .. ويبكيان ..

* * *

انتهى العزاء ليلاً فى ذلك اليوم الأسود .. على الأسرتين .. أسرة والديه .. وأسرة زوجته .. وبكى الجميع فى هذا اليوم بلا توقف .. وانفردت الأم (بخلود) فى نهاية العزاء .. ثم قالت لها فى حنان .. وآثار الدموع قد انحفرت فى وجهها .. من شدة البكاء :

ـ (خلود) إن (نادر) قد رحل بجسده عن عالمنا ..

واستدركت فى تأثر :

ولكنه باقٍ بروحه الطيبة .. بيننا ، وسيعيش فى قلوبنا حتى نلتقى به .. إن شاء الله فى الدار الآخرة .. وأنت ستظلين حبيبتى .. وابنتى التى لم أنجبهـا .. واحتضنتها (خلـود) باكية .. وقد انهارت فى أحضانها .. ولم تكن الأم على استعداد للانهيار معها أكثر من ذلك .. فقامت الأم بتهدئة لوعتها وثورتها .. ثم قالت بصعوبة شديدة وبصوت مختنق بالعبرات :

ـ هذا الخطاب ..

Looloo
www.looloolibrary.com

وأخرجته من جيبها .. عثرنا عليه فى ملابس (نادر) ـ رحمة الله عليه ـ مكتوب عليه (خاص إلى زوجتى) وأردفت فى حزن :

ـ مغلق ولم يقم ثمة أحد بفتحه احترامًا لرغبته وذكراه ..

وأخذت (خلود) الخطاب بيدين مرتعشتين .. وسرعان ما عادت إلى بيتها .. مع أسرتها .. بعد انتهاء العزاء .. وانفردت بنفسها فى غرفتها .. وأغلقت الباب عليها .. وفتحت الرسالة وشرعت تقرأ فى تأنٍ :

(مـن عبـد مذنب أشـر .. إلى سيدته وحبيبتـه وعشيقته (خلود) ، أكتب إليك هذه الرسالة .. قبل أن يأتى علىَّ وقت .. لا أستطيع فيه الإمساك بالقلم والكتابة لكِ .. لم أحب .. ولم أعشق .. ولم أهوَ سواكِ .. منذ رأيتك .. وعرفتك .. ثم تمت الخطوبة بيننا .. فقـد عشت فى سعادة لا توصف .. بل عشت معكِ أسـعد أيام حياتى بحق .. بعدما فعله بى أبى .. وحرمنى من تلك السعادة .. كنت البهجة .. والأمل الكبيـر لى فى هذه

الدنيا .. حتى أسأت إلىَّ .. وفعلتِ ما فعلتِ .. فى ليلة زفافنا .. ولكنى لا أعاتبك .. فقد حدث ما حدث .. وقدَّر الله العظيم .. وما شاء فعل .. ثم عاقبتك وعاقبت نفسى .. بهجرك والبعد عنك .. وعندما حانت لحظة العودة .. وغلبنى الشوق واللهفة .. والحب إليك .. بل وذهبت إليك فى غرفتك بالفعل .. لكى أرتوىَ منك .. ومن حبك، هزمنى الخجل .. ولم أشأ إيقاظك .. وفى ذات اليوم .. اكتشفت أننى مريض بالسرطان .. وخشيت لو عدت إليك .. آنذاك ، أن تقولى .. لقد عاد إلى مصلحة .. لكى أمرِّضه .. وأقوم على خدمته .. فلم أشأ أن تعودى إلى .. كنوع من العطف والشفقة والإحسان .. كما أننى لم أشأ أن تتعبى وتملى منى .. ومن مرضى .. فلم أحتمل أن يأتى علىَّ يوم .. وأرى من عينيك نظرة ملل .. قد أحتملها من جميع الناس .. إلا منك .. أنت بالذات يا حبيبتى .. كما أننى خشيت لو عدت إليك .. أن أترك لك طفلاً .. لن يكون لكِ ذكرى .. وإنما سيكون أنشوطة غليظة .. أحبسك بها وربما يكون طفلاً سيئًا .. فتصبى لعناتك علىَّ .. على العموم أسأت إلىَّ .. وأعترف أننى أسأت إليك .. أكثر منك ..

Looloo
www.looloolibrary.com

والآن عرفت لماذا .. لم أسع إلى الطلاق .. لأنهم أخبرونى بأننى لن أعيش كثيرًا .. وأن الأمر لن يستغرق سوى شهور .. الآن عرفت سبب بعدى عنك .. وهجرك وعدم طلاقك .. وذلك لكى تستفيدى من معاشى .. فيما بعد، والآن أعتذر لك عن إساءتى .. بل اغفرى لى .. واصفحى عنى أرجوك .. فكفانى ما لقيته حتى الآن من عذاب فى هذه الدنيا .. وإن شئت فلا تصفحى عنى .. فهذا حقك .. الوداع يا درة عينى وفؤادى .. لا تحرمى نفسك كما فعلت أنا .. امضى فى حياتك .. وتجاوزى محنتك .. ولا تجعلى ذكراى عقبة .. فى طريقك .. تزوجى .. وليكن حظكما معًا أفضل مما كنا معًا .. وأسأل الله العلى القدير أن يجمعنا فى الآخرة .. الوداع .. أحبك) .

نـــادر

انتهت (خلود) من قراءة رسالة الوداع التى تركها لها زوجها وحبيبها .. وابتلَّ أكثر من نصف الرسالة .. من كثرة وقسوة انهمار دموعها .. أثناء القراءة .. ولم تشعر بنفسها

إلا وهى تدفن رأسها بين ذراعيها .. وتستند على مكتبها .. وتنخرط فى بكاء حار آنذاك .. ولم تدر كم من الوقت قد مرَّ عليها وهى على هـذه الحالة .. واتجهـت إلى دولابها .. وأخرجت صـورة زفافها إلى زوجهـا .. وحبيبها .. ونظرت إليه مليًّا باكية .. ثم قبَّلت صورته فى عشق وهيام .. وتذكرت بأنها قد وعدته بالسعادة طول العمر .. وحنثت بوعدها معه .. كما تذكرت أنها قد وعدته .. بمحاولة الصلح والتوفيق فيما بينه وبين والده .. وحنثت بوعدها أيضًا معه .. وهنا همست إلى صوره قائلة وكأنه ما زال على قيد الحياة :

ــ بعد كل إساءتى لك يا حبيبى .. وتضحياتك من أجلى .. أتطلب منى ألا أصفح عنك ؟

فصرخ قلبها وأخذت تردد فى انهيار :

ــ بل أنت الذى يجب ألا تصفح عنى أبدًا .. أبدًا .. يا حبيبى ، لا تصفح عنى .. لا تصفح عنى .. وارتمت على سريرها وأخذت تبكى .. وتبكى .

تمت بحمد الله وتوفيقه

Looloo
www.looloolibrary.com

روايات مصرية للجيب

سلة الروايات

في كل رواية متعة دائمة !!

وائل القاضي

لا تصفح

وهكذا بحر الحياة ! تتلاطم أمواجه العاتية ، وتميل بنا يمينا وشمالا ، ولا هم لأحد من ركابه سوى النجاة من الأهوال ، والتنافس في البقاء على قيد الحياة .

الخط الساخن
19350

العربية الحديثة

الثمن في مصر 500
وما يعادله بالدولار الأمريكي
في سائر الدول العربية والعالم